الأخلاق القرآنية

دراسة اخلاقية في القرآن الكريم والسُنّة النبوية

وأهل البيت الأطهار عليهم السلام

د. صبحي العادلي

دكتوراه فلسفة في الشريعة الإسلامية

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة – دار القرآن الكريم

شعبة البحوث والدراسات القرآنية

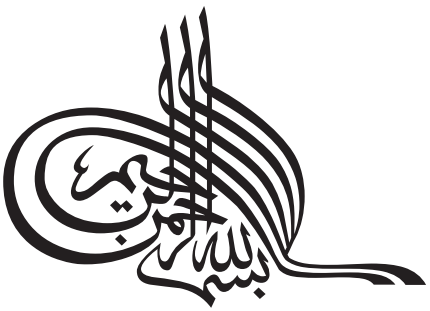

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم

- اسم الكتاب : الأخلاق القرآنية
- تأليف : د. صبحي العادلي
- الاخراج الفني : محمد عامر محمد
- الناشـــــر: الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
  قسم دار القرآن الكريم - شعبة البحوث والدراسات القرآنية
- المطبعة: دار الوارث للطباعة والنشر
- عدد النسخ: ١٠٠٠
- الطبعة: الاولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م
- رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٠٤٣) لسنة ٢٠١٥م

محفوظة
جميع الحقوق
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم
شعبة البحوث والدراسات القرآنية

العراق كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

موبايل: ٠٠٩٦٤ ٧٧١٩٤٩١٠٤٠+

web: www.dar-alquran.orq

E-mail: info@dar-alquran.orq

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

صدق الله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة ..

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق اجمعين محمد واله الطاهرين وأصحابه الطيبين.

وبعد ...

اخترتُ البحث بموضوع هذا الكتاب الموسوم بـ(الأخلاق القرآنية دراسة اخلاقية في القرآن الكريم والسُنّة النبوية واهل البيت الأطهار) لأهميته، إذ انشغل معظم علماء المسلمين في مؤلفاتهم ودروسهم في إثبات كل فريق عقائده واحكامه الفقهية ورؤيته الى التاريخ التي ورثها من اسلافه، كما استخدموا الاختلافات والخلافات الفقهية لإثبات كل منهم حجته بما ذهب اليه مذهبه واسلافه، وهذا ما اشغل الناس كثيرا بتلك الخلافات وتركوا مقاصد وغايات العقائد والأحكام الفقهية الإسلامية التي تسعى الى ترسيخ مكارم الأخلاق عند البشر.

ومن المعروف ان الفكر الإسلامي يعتمد في تفسير نصوصه على طرق عديدة للاجتهاد، ومن هذه الطرق الطريق العقلي، وهذا الطريق يختلف من مجتهد وباحث الى آخر تبعا للمؤثرات الخارجية والداخلية على العقل البشري، لذلك كان من جملة الخلافات المنهجية من حيث النظرية والتطبيق اختلاف الرؤية اتجاه موضوع الأخلاق، وقد تضمنت تلك الاختلافات الجوانب النظرية والتطبيقية على حد سواء.

لهذه الأسباب اختلف العلماء في تناول موضوع الأخلاق وكانوا على مناهج عديدة، كان من بينها المنهج الذي اخترته في هذا الكتاب وهو المنهج الموضوعي الذي يعتمد على توحيد الدليل مقابل الحكم الشرعي الذي يحكم الفعل الأخلاقي من حيث ان هذا الفعل الأخلاقي فعل واجب لأنه مأمور به في الكتاب والسُنة، وهذا الفعل الأخلاقي مستحب وهذا مكروه للأدلة نفسها وهكذا.

على ان موضوع الأخلاق في الشريعة الإسلامية من الموضوعات العابرة للمذاهب والقوميات، وبتعبير أدق، فان موضوع الأخلاق من الموضوعات المتفق عليها عند جميع المذاهب الإسلامية والأديان، لذلك حاولت استثمار بعض المصادر المعتمدة عند كل المذاهب الإسلامية، ليكون البحث أكثر فائدة، ومن المؤكد سيطلع عليه أكبر عدد من مختلف المذاهب الإسلامية المتعددة.

هذا ما تمكنتُ من كتابته في هذا الموضوع، سائلا المولى القدير أن يجعله في سفر اعمالنا، وان ينفع به، انه سميع الدعاء.

ملاحظة: ينبغي على من يقوم بتدريس هذا الكتاب مراجعة تفاسير الآيات في كل محاضرة يلقيها على طلبته، ليتمكن من ربط موضع الشاهد من الآية الكريمة مع الموضوع الأخلاقي المراد بيانه، وقد تركت ذلك في هذا الكتاب حتى اترك للإخوة التدريسيين حرية اختيار الرأي التفسيري الذي يجتهدون بترجيحه.

كربلاء المقدسة

الدكتــور صبـحي العادلـــي

٢٠١٤/٩/٣٠

التمهيد:

ذكرنا اهمية موضوع الأخلاق في حياة الفرد والمجتمع، لذلك اتخذته الحكومات الإسلامية وغيرها منهجا دراسيا، وعندما تناوله الاساتذة صاغوه باسلوب تربوي يتناسب مع المرحلة الدراسية للطالب.

التربية لغة: أُخذ لفظ التربية من (ربَّ وَلدَه) و (الصبي رباه أباه) أي: أحسن قيامه عليه، وحفظه من الزلل والانحراف والشذوذ والجهل حتى اصبح يافعا راشدا [١].

واصطلاحا: هي عبارة عن غذاء ارشادي يمنحه المربي للفرد المراد تربيته بصورة تدريجية ومنظمة، وان أول مربي في الإسلام هو الرسول الأكرم ﷺ فهو الذي رباه الله تعالى على الخلق العظيم، فقال تعالى بحقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

كما ربى الرسول الأكرم ﷺ المؤمنين على قيم الإسلام العليا وثوابته الاساسية، تلك الثوابت التي تعتمد على القيم الأخلاقية الفاضلة، ثم سار على هذا المنهج أهل بيته الأطهار عليهم السلام وجميع الصالحين، مما اصبحت التربية الاسلامية أساس الإسلام وروحه.

لذلك تناولها العلماء ببالغ الأهمية من التفصيل النظري والعملي في كافة مجالات الحياة.

وقد عرّف التربية الكثير من الفلاسفة أمثال افلاطون وهبرت وغيرهما، ومن أهم المشتركات الواردة في تعاريفهم الآتي:

---

(١) تاج العروس ١/ ٢٦١ . لسان العرب ١/ ٤٠١.

(٢) سورة القلم : الآية ٤.

١- **التربية البدنية والروحية**: وهي اعطاء الجسم والروح كل ما يمكن اعطاءه من الجمال والكمال، فالتربية الروحية متمثلة بالالتزام الديني، أما التربية الجسمية فهي تمثل المحافظة على الصحة البدنية، بغية تمكن المُربى السيطرة على قواه العقلية والجسمية، وسرعة ادراكه ونمو ذكائه واتخاذه القرار الصائب ورقة شعوره بتأدية الواجبات، بدافع الذمة والضمير والشعور بالمسؤولية في الدنيا والآخرة.

٢- **فاعلية التربية المنهجية**: إذا كانت طرق التربية منهجية صحيحة فمن المؤكد انها ستؤدي إلى نماء العقل الفاعل الجمعي في تكوين السلوك الحسن والتفكير السليم، والإحساس الوافي لمعرفة الفضائل والرذائل والتمييز فيما بينها، أما التربية غير المنهجية فهي لا تنفع بل تؤدي الى الفوضى والارتباك.

٣- **المهارة والدقة والاخلاص في العمل**: تُعد التربية بمثابة الوسيلة الأساسية التي تجعل الإنسان صالحا ناجحا بعمله، كما تجعله يؤديه بدقه ومهارة واخلاص ورغبة، فهي تساهم مساهمة فعالة في زيادة الانتاج والجودة.

٤- **أن يقوم بها اصحاب الاختصاص دون غيرهم**: لا تثمر تربية أي مجتمع إلا بعد أن يقوم عليها المتخصصون، فهم القادرون على تحويل سطور نظريات التربية الى واقع عملي ملموس هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى ينبغي امتلاك القائم بالتربية المؤهلات العلمية (النظرية والعملية) التي تجعله على مستوى عال من القدرة والكفاءة على تحويل السطور النظرية التربوية إلى عادات وتقاليد الفرد والمجتمع، وازالة كل العادات والتقاليد الضارة وغير النافعة [١].

---

(١) انظر: النظام التربوي في الإسلام: الشيخ باقر شريف القرشي ص٣٧. الجامع في التربية العامة: روينة ص١٢ . روح التربية والتعليم : محمد عطية البراغي ص٥و٦.

وفي ضوء ما تقدم يتضح لنا مفهوم التربية بأنه نظام نظري للتعليم وعملي للتطبيق، وعلى وفق اسس محددة.

أما الأخلاق في اللغة: فهي جمع خُلق (بضم الخاء وسكون اللام) ومن معانيها السيرة والسجايا، والخَلق (بفتح الخاء وسكون اللام): الصورة الظاهرية والشكل، وقال الراغب في المفردات (الخَلق والخُلق) في الأصل

واحد، كالصَوم والصُوم، وخص الخُلق بالسجايا المدركة بالبصر[١].

وفي الاصطلاح: يُعرّف علم الأخلاق بأنه: العلم الذي يبحث عن الصفات الكاملة في النفس، وعن الأفعال والأقوال والأفكار الناتجة عنها، ويبحث أيضا عن كيفية تهذيب النفس عن الرذائل، وتحليها بالفضائل، وعن طرق الرخاء والسعادة[٢].

هذا فان لفظة الأخلاق هي لفظة جامعة يمكن اطلاقها على الحسنة منها وعلى السيئة ايضا، وما دامت كلمة الأخلاق كلمة جامعة كما ذكرنا، لهذا يمكن تسمية مكارم الأخلاق الفاضلة بـ (الأخلاق الحسنة) والأخلاق المتردية بـ(الأخلاق السيئة) أيضا.

وان تمسك الانسان بالأخلاق الحسنة يعني انه تمسك بإنسانيته التي ارادها الله تعالى له، والتي كرّمه سبحانه بها في الحياة الدنيا، ولهذا جعل الله تعالى الانسان خليفة عنه سبحانه على ارضه ليس بغرائزه وجسمه بل بأخلاقه التي ميزته عن سائر المخلوقات الأخرى، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٣].

(١) انظر: دراسات في الأخلاق: الشيخ مجيد هادي زاده ١/ ٣١.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣١ .
(٣) سورة البقرة: الآية ٣٠.

ومن أهم أهداف التربية الأخلاقية تحصين المجتمع من الوقوع بالممارسات الجرمية والمخالفات والتصرفات التي تتنافى مع مكارم الأخلاق والآداب العامة، لهذا قال الإمام الصادق عليه السلام: (ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، ان القلب ليواقع الخطيئة، فما تزال به حتى تَغلب عليه، فتجعل أعلاه أسفله) [1].

وتأسيسا على ما ذكرناه يتضح لنا ان الأخلاق الفاضلة هي نفسها الأخلاق الإسلامية والتي جعلها الإسلام من اساسيات مقاصده وغاياته، ولكن الغريب في الأمر يرونها المسلمون عند غيرهم فينبهرون ويستغربون بها، وهي مكتوبة في دينهم ومحفوظة في صدورهم.

نبذة مختصرة في منهجية تقسيم البحث في هذا الكتاب:

لقد تعددت تقسيمات الباحثين في موضوع الاخلاق على اعتبارات عديدة، فمنهم من قسم الأخلاق الفاضلة على اساس كيفية اقامتها، وهي: ايجابية وسلبية، بوصف ان الاخلاق الايجابية هي اقامة فعل اخلاقي حَسن، كالصدق والحياء، أما الاخلاق السلبية فهي الامتناع عن اقامة الفعل الاخلاقي السيء، كالامتناع عن الكذب والغش، وهذا ما تضمنه الفكر الفقهي الإسلامي .

وهناك من الفلاسفة من ذهب الى تقسيم الاخلاق على أساس الاعتبار الفلسفي الارسطي الذي اعتمد على تربية وتدريب القيم الأخلاقية الطيبة، والتي غالبا ما يتمسك بها المجتمع في حالة تكرار الفعل الاخلاقي الايجابي، بغية التدريب والتعويد، ليصبح ذلك بمثابة العادة الاجتماعية التي لا يمكن التخلي عنها بتأثير السلوك الجمعي العام، وكذلك التدريب على الامتناع عن اقامة الافعال الاخلاقية

(١) اصول الكافي ٢/ ٢٦٨.

السيئة لتصبح تدريجيا بواسطة السلوك الجمعي من قبيل الاعمال المستقبحة عند عامة المجتمع، فيمتنع معظم افراد المجتمع ممارستها بصورة طوعية ونفسية، وهذا التغيير لا يمكن تحقيقه إلا في ظروف سياسية خاصة، ويقوم عليه خبراء ومتخصصون، من خلال الاعتماد على العوامل النفسية المؤثرة في الانسان وهي: القوة العقلية والشهوية والعصبية[١].

وذهب اصحاب هذه المدرسة الفلسفية الارسطية: بان كل قوة من هذه القوى الثلاث المذكورة تستدعي سلوكا اخلاقيا خاصا من حيث السلب أو الايجاب، وتستدعي ايضا نمطا معينا من التربية والتدريب.

وقد وضع ارسطو نظريته على اعتبار نتائج فكرة السعادة والبؤس نتيجة تأثير القوى الثلاث المذكورة، والموضوع فيه حديث طويل لا تسمح منهجية البحث الخوض بتفصيله.

بينما ذهب فلاسفة آخرون الى تقسيم علم الاخلاق على اساس نفسي قريب من نظرية ارسطو، فقسموا الأخلاق العامة على قسمين اساسيين هما:

القسم الاول – الاخلاق الفطرية

القسم الثاني – الاخلاق المكتسبة

الأخلاق الفطرية: قالوا إنَّ الاخلاق الفطرية هي الافعال والاقوال والتصرفات التي تظهر مع الانسان منذ طفولته ونشأته، سواء أكانت حسنة أو سيئة، وان افضل طريقة لبناء تربوي اخلاقي هي تنمية الاخلاق الفطرية الحسنة، واستخدام وسائل

(١) انظر: الفلسفة الاخلاقية: الدكتور توفيق الطويل ص٥٦. تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص١٨٨ . الفلسفة العامة والاخلاق: الدكتور كمال جعفر ص١٩٣و١٩٤ .

التربية المتطورة والردع الطوعي والعقابي على من يمارس الاخلاق السيئة، وبصورة تدريجية ومنظمة يتعود المجتمع على ممارسة مكارم الأخلاق ويتجنب مساوئها.

ومما ينبغي الإشارة اليه ان هذه العملية يجب ان تبدأ منذ طفولة الانسان، ثم تتصعد تدريجيا من البيت والروضة والمدرسة والجامعة ومكان العمل وكل الامكنة التي يتواجد فيها الانسان، حتى تصبح تلك الافعال الاخلاقية بمثابة العادات والتقاليد العامة التي لا يمكن لأفراد المجتمع الانفكاك عنها وتركها في كافة الاحوال والظروف.

وان افضل طريقة تربوية حديثة ومعاصرة لتعليم مكارم الأخلاق وممارستها هي الطريقة اليابانية التي استفادت من عموم النظريات والتجارب المذكورة، حيث اعتمدت على عنصري التعليم والتطبيق منذ المراحل الدراسية الأولى وانتهاء بمواقع العمل والسكن والمرافق الأخرى .

وقد اكتشفوا من خلال تجاربهم التربوية والنفسية ان مجموعة كبيرة من البشر صغارا وكبارا لديهم الاستعداد الفطري على تنمية الاخلاق الفطرية المذكورة وتقويمها وتعديلها وتهذيبها، ولاسيما ان الأخلاق الفطرية تنشأ مع الإنسان ثم تُنمى وتُربى حتى تصبح سلوكا عاما في المجتمع.

الأخلاق المكتسبة:أما الاخلاق المكتسبة فقالوا انها الافعال الاخلاقية التي يكتسبها الانسان بواسطة التعليم، أو يقلدها من تصرفات المحيط الاجتماعي المحيط به، ويمكن تقوية وتنمية الحسن منها، والتدريب على ترك السيء بواسطة وسائل تربوية معدة لهذا الغرض، ويشرف عليها متخصصون[١].

كما اتجه بعض علماء الشريعة الإسلامية في تقسيم الأخلاق على أساس المنهج الموضوعي لتفسير القرآن الكريم، فوضعوا فصولا في مكارم الأخلاق ومساوئها على أساس ما جاء به القرآن الكريم من آيات تأمر بالأخلاق الفاضلة واخرى تنهى عن السيء منها[٢].

بينما سار البعض الآخر من علماء الشريعة في تقسيم علم الأخلاق على أساس منهجية الأحكام الفقهية من حيث الحلال والحرام، لذلك قالوا: تُقسم الافعال الأخلاقية على الاقسام الآتية:

الاخلاق الواجبة، والمستحبة، والمكروهة، والمحرمة، والمباحة، وقد تم هذا التقسيم على أساس الأحكام الشرعية من حيث اقامة فعل الواجب والمستحب وترك فعل المحرم والمكروه على وفق المستوى الفقهي المعروف من حيث شدة الوجوب في الواجب وخفته في المستحب، وشدة التحريم في المحرم وخفته في المكروه.

---

(١) انظر: الاخلاق الإسلامية واسسها ١/ ١٦٨ وما بعدها .

(٢) انظر: الأخلاق في القرآن الكريم: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي بالتعاون مع مجموعة من العلماء ٢/ ٦ .

وينبغي على القارئ الكريم أن يدرك جيدا بأن كل النظريات الجميلة التي ذكرناها لا يمكن انجازها مطلقا إلا في حالة التعاون التام بين الدولة والمجتمع.

وقد اخترتُ في منهجية هذا الكتاب المؤثر الإسلامي الصادر من القرآن الكريم والسُنة الشريفة، وهي طريقة التفسير الموضوعي، وقد استفدتُ واستأنستُ كثيرا من الطرق الفلسفية وتجارب الدول المتقدمة بخصوص التربية الأخلاقية، مع إيماني الراسخ بان النظرية الإسلامية أعدت العبادة المصدر الضابط لإيمان المسلم، وهذا المصدر هو نفسه يعد الرادع الطوعي من ممارسة الأخلاق السيئة (الفحشاء والمنكر) وهذا ما عبر عنه سبحانه في مواضع كثيرة، منها ما جعل سبحانه الصلاة وسيلة رادعة عن ممارسة كل مظاهر الفحشاء والمنكر، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[1].

ولما تقدم جعلنا الفصل الأول خاصا بـ (اخلاق العبادات الواجبة والمستحبة) وهي الأخلاق التي جعلها الله تعالى بمثابة الأساس لقبول العبادات من عدم قبولها، فلا تُقبل الصلاة مثلا حتى لو كانت صحيحة الأداء مع الرياء، ولا يصح الصيام حتى لو كان صحيحا مع ارتكاب الفواحش، وهكذا ...

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

وتضمن الفصل الثاني الأخلاق الفاضلة التي نشأت نتيجة الفعل ورد الفعل بين الأفراد والجماعات، وقد اطلقنا عليه بـ (الأخلاق المتقابلة بين الأفراد والجماعات) وهذه النظرية تصدق على معظم الأفعال الأخلاقية، ولكنها في هذا النمط من الممارسات الأخلاقية تبدو واضحة من حيث المقابلة، فمحبة الإنسان للآخر مثلا تنشأ من خلال محبة الآخر له، وكذلك التعاون الذي ينمو من خلال ابداء التعاون من طرف فيقابله الطرف الآخر بتعاون آخر، وهذا ما نراه اليوم سائدا بين أفراد المجتمع المتطور، كما ينبغي أن يكون ذلك في علاقة الدول والشعوب مع بعضها.

وخصصنا الفصل الثالث لنماذج مختارة من مكارم الاخلاق، وذكرنا أدلتها من القرآن الكريم والسُنّة الشريفة بمنهج علمي وموضوعي رصين ومتوازن، فضلا عن استثمارنا لمساحة متنوعة من مصادر الحديث الشريف المعتمدة عند مذاهب المسلمين، بغية أن يكون هذا الكتاب مقبولا لدى جميع اتباع المذاهب الإسلامية، وخصوصا ان موضوع الأخلاق هو من الموضوعات العابرة لكل الحدود السياسية والدينية والمذهبية، ومن اسمى غاياته توحيد المجتمع على مكارم الأخلاق ونبذ مساوئها، وهذا من بين اوضح المشتركات في جميع المذاهب الإسلامية.

والله تعالى من وراء القصد

الفصل الأول

أخلاق العبادات
الواجبة والمستحبة

المبحث الأول

تعريف النية وعلاقتها بالأخلاق

ويتضمن هذا المبحث على المطالب الآتية:

المطلب الأول

تعريف النية ومفهومها

النية لغة: النيات جمع نية، ونية الرجل أي: ما قصده وعزم عليه، ويُقال نوى القوم منزلا أي: قصدوه، ونواك اللهُ تعالى بالخير أي: اوصله اليك، ونوى الرجل الشيء أي: عزم عليه، وللوجه الذي نواه[1].

ومما يظهر ان معنى النية: هو القصد القلبي للإنسان، والقصد هو نوع من الإرادة تبلغ في قوتها درجة الاعتزام، والارادة لا تكون عزما ما لم تكن جازمة، لذلك فان القصد هو أعلى درجة من العزم، لأن العزم قد يكون لإقامة فعل مؤجلا في المستقبل، وقد يضعف فيما بعد، أما القصد: فيتحقق وقوعه في حالة إذا كانت الإرادة جازمة، ولا يمكن عقلا انفكاك القصد عن الارادة الجازمة[2].

---

(١) انظر: صحاح اللغة ٢/ ٢٥١٦.

(٢) انظر: المصدر نفسه ٢/ ٢٥١٦.

والنية اصطلاحا: هي العزم على فعل العبادة، بقصد التقرب لله تعالى وحده، لهذا فمن شروط صحتها الاخلاص لله سبحانه، وهذا ما أمر به القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّـهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[١].

وتفيد (ما) للحصر، أي: لم يأمر الله تعالى الناس بالعبادة إلا بقصد الاخلاص له سبحانه وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾[٢].

ومن السُنّة الشريفة قول الرسول الأكرم ﷺ: (إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل أمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه) [٣].

وقد نال هذا الحديث النصيب الأوفر من اهتمام علماء الحديث والشريعة على حد سواء، لأن موضوعه من أهم موضوعات الإسلام ألا وهي النية، لأن النية هي ميزان جميع اعمال الإنسان الظاهرة والباطنة، لأنها من أعمال القلب الباطنة التي لا يطلع عليها إلا الله تعالى، لذلك لا يشترط النطق بها، بل يكفي انعقاد قصد قلب المسلم عليها مع ربه، وهي التي تميّز العبادات عن بعضها، كتمييز الزكاة عن الخمس، وصلاة الواجبة المفروضة عن صلاة التطوع والقضاء والقصر، وصيام الواجب عن القضاء والمستحب، كما انها تميّز العبادات عن غيرها، فمثلاً قد يغتسل الرجل ويقصد به غسل الجنابة، فيكون هذا الغسل عبادةً واجبة يُثاب عليها، أما إذا اغتسل وأراد به التنظيف أو التبريد، فهنا يكون الغسل مباحا وليس واجبا، ولأهمية النية في الإسلام

(١) سورة البينة: الآية ٥.
(٢) سورة الليل: الآية ١٩ و٢٠.
(٣) سنن البيهقي الكبرى ١/ ٤١ .

قال بعض أهل العلم (الامور بمقاصدها) وقال الامام الصادق عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا قول إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السُنّة) [1].

ومما تقدم يتضح ان نظرية الأخلاق في الإسلام تعتمد على النية الخالصة لله تعالى، بخلاف ما تتمسك به البعض من غير المسلمين من أخلاق فاضلة بقصد الانتماء والعادة، أو لتحسين صورة بلدانها، ولكن كل هذه المقاصد تعد اسلامية وصحيحة إذا كانت بقصد الامتثال لله تعالى وحده، وسنقف على تفصيل ذلك بالمطلب الآتي.

(١) الكافي ١/ ٢٨.

المطلب الثاني
الترابط بين النية والاخلاق

ذكرنا بأن النية في الأعمال العبادية هي قصد القربة لله تعالى دون غيره، سواء أكانت تلك الاعمال واجبة أو مندوبة (مستحبة) فالنية تمثل روح العبادة ومركز ثقل غايتها الاساسية، لذلك لا يمكن أن يجتمع عند الانسان التصرف الاخلاقي السيء مع النية الخالصة لله تعالى.

فهل يعقل أن يجمع المسلم بين صلاته التي يقصد بها التقرب لله تعالى مع فعله المنكر والفحشاء اللذان نهت الصلاة عنهما؟ فمن المؤكد انهما لن يجتمعا[1].

كما تنقذ النية الخالصة المسلم من مظاهر الازدواجية والنفاق والرياء والشرك، وقد أثبت علماء الاجتماع وعلماء النفس بأن الشرك والرياء والازدواجية كلها تُعد بمثابة الأرض الخصبة لإنبات التصرفات الأخلاقية السيئة والنفاق، لذلك جاء الربط المباشر بين العبادة والنية الصادقة مع الاصلاح والاعتصام بالله تعالى، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّـهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّـهِ﴾[2].

---

(١) رسالة في الرياء: سليم الهلالي ص٤٥ .

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٦.

ولأهمية النية في العبادة جعل الله تعالى غاية خلق البشر من اجل العبادة الخالصة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

لهذا نجد الارتباط الوثيق بين مخافة الله تعالى والعمل الصالح، فاذا اعتقد المسلم ان المعطي هو الله تعالى فلا يسأل غيره، فهو سبحانه المعطي والآخذ والمانح والمانع، فاذا كان سبحانه ذلك فلا يحذر الإنسان إلا من أعداء الله تعالى من الطغاة والمجرمين، ويأمن لأحبائه المؤمنين الصالحين، لهذا فالإخلاص بطاعة الله تعالى هي المنقذ الوحيد من اشرار الدنيا والاخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَ فَغَيْرَ اللَّـهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ۞ وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرينَ ۞بَلِ اللَّـهَ فَاعْبُدْ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرين﴾ [٢].

أما السُنّة فقد تواترت الكثير من الأحاديث التي تؤكد ما جاء به القرآن الكريم منها ما قاله الرسول الأكرم ﷺ: (اعمل لوجه الله تعالى يكفيك الوجوه كلها) وقال الامام الصادق عليه السلام:(ان العبد المؤمن الفقير ليقول يا رب ارزقني حتى افعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير، فاذا علم الله عز وجل ذلك فيه بصدق نيته كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما يكتب له عمله) [٣].

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٤-٦٦.

(٣) كنز العمال ٤/ ٢٣ .

وقال ايضا (من هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتب الله تعالى له حسنة، فان عملها له عشر حسنات، ويضاعف الله تعالى لمن يشاء إلى سبعمائة)[١].

وهكذا نجد النية تُعلم وتربي المسلم نفسيا وروحيا نحو الاخلاص في العبادة بطريقة تربوية بمنتهى الدقة والكمال، مما تجعل تصرفات الانسان الأخلاقية خالصة لله تعالى دون رياء وازدواجية في المواقف، فتجعلها ثابتة في سلوكه بكل زمان ومكان.

ثــوب الإســلام الــذي يــرتــديــه هــو الأخــلاق

(١) المحجة البيضاء ٨/ ١٠٣ .

المبحث الثاني
علاقة الاخلاق بالعبادات الواجبة

ويتضمن على المطالب الاتية :

المطلب الأول
العقيدة الإسلامية والتفكير

ويتضمن على الآتي :

التعريف بماهية العقيدة الإسلامية

العقيدة لغة: هي مأخوذة من العقد، وهو الربط والشد بقوة، والعقد نقيض الحل، وهو يدل على الشدة والوثوق، ومفاد تسمية العقيدة: هو ما عقد قلب الإنسان على ما صدقه عقله وضميره، بحيث يصير عنده تصديقها حكما لا يقبل الشك[1].

واصطلاحا: هي مفهوم يخص بما يعقد عليه الإنسان قلبه عقدا جازما ومحكما، لا يتطرق إليه شك في الإيمان الجازم بالله تعالى، وما يجب له سبحانه في الوهيته وربوبيته واسمائه وصفاته واليوم الاخر والايمان بكتبه ورسله وأوليائه الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام... وبكل ما جاءت به نصوص القرآن الكريم، والنصوص الصحيحة الواردة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام والتصديق بأن عقيدة جميع

(١) انظر: القاموس المحيط: مادة (عقد).

الانبياء هي من الوحي الالهي .

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢).

ففي هذه الآيات الكريمة تظهر حقيقة العبادة التي لا تكون لأي مخلوق إلا لله تعالى، وان الغاية التي خلق الله تعالى العباد من اجلها هي عبادته سبحانه من دون شرك أو رياء، فالمفهوم العام للعبادة: هو اقامة أوامره سبحانه واجتناب نواهيه، بشرط أن تكون كل تلك الأقوال والأفعال وحتى النوايا خالصة لمرضاته، والامتثال لطاعته وحده سبحانه، فمن يجعل العبادة لغير الله تعالى حبطت عبادته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٣).

وفي ضوء ذلك يتضح ان التصديق الحقيقي بالعقيدة مركزها الإيمان بالله تعالى ووحدانيته، بل هو السبيل الاوحد لقبول الاعمال، والذي يعرّف الانسان بسر وجود بدايته ونهايته، وينقذه من عبادة كل مخلوق، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّـهُ نَفْسَهُ وَاللَّـهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾(٤).

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦ .

(٣) سورة الزمر: الآية ٦٥.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٣٠ .

لهذا اتفق العلماء على ان المؤثر الأساس الذي يؤثر في سلوك الأنسان ايجابيا هو الإيمان، وادراك نعمه وفضائله على البشر، والقيام بعبادته عن قناعة، قال تعالى: ﴿اللَّـهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١).

على ان هذا النص القرآني يؤسس لقاعدة ايمانية ينطلق منها الإنسان بتفكيره نحو ادراك غايات الخالق سبحانه مما خلقه، ومدى عظمة دقة التنظيم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۞ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ (٢).

ومن خلال دراستي للعلوم الإسلامية وجدتُ علماء الشريعة قسموا الدين الإسلامي على قسمين هما: العقيدة والشريعة، فالعقيدة:مقرها التصديق القلبي، كالإيمان بالله تعالى، أما الشريعة: فهي القيام بالواجبات العملية، كالصلاة والصوم، وعلى هذا الأساس فلا قيمة لجميع اعمال الشريعة دون استقرار العقيدة في تفكير المسلم، ولاسيما ان الأخلاق هي من الشريعة كونها من قبيل الأفعال، لذلك لا يمكن ابتنائها إلا بعد استقرار عقيدة المسلم بربه وتصديقه التام بوحدانيته تعالى، وبالتالي سيؤدي به اعتقاده الى ممارسة عباداته بكل صدق وثبات .

وعلى هذا الأساس خلق الله تعالى الانموذج الأعلى الذي ينبغي على البشر الامتثال به وهم الأنبياء عليهم السلام وجعل نبينا محمد ﷺ على خلق عظيم، وجعل التمسك بذلك الخلق مقياسا للإيمان من حيث التقرب أو الابتعاد عن التمسك بسيرته ﷺ قال

(١) سورة الجاثية: الآيتان ١٢و١٣.
(٢) سورة الأعلى: الآيات ٢و٣و٤.

تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١).

كما اظهر سبحانه بأن تسديد وعصمة الرسول الأكرم واهل بيته الاطهار عليهم السلام هي بأمر الله تعالى، ليكونوا إنموذجا عاليا يقتدى بهم على مر العصور والأجيال.

وهكذا يتضح لنا مما سبق ان العقيدة هي أساس الدين، فكل فعل عبادي واخلاقي من دون عقيدة لا قيمة له، بل يعد اشبه بالبناء على قاعدة من رمال متحركة، فلو خرج التصديق الحقيقي من اعمال الانسان عندئذ اصبحت تلك الأعمال شكلية وخارج المنظومة الاسلامية التي جاء بها كتاب الله تعالى وسُنّة رسوله صلى الله عليه وآله واهل بيته الطاهرين عليهم السلام قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (٢).

ومن هنا تتجلى أهمية ترسيخ العقائد عند المسلم والتي تستند على اساسها الشرائع والأخلاق.

(١) سورة القلم: الآية ٤ .

(٢) سورة النجم: الآيات ٢ـ٥.

دلالة القرآن والحديث على الترابط بين العقيدة والاخلاق:

قبل الدخول في بيان تلك الدلالة ينبغي القول إنَّ إيمان المسلم الراسخ هو الذي ينتج العمل الصالح والأخلاق الفاضلة، ومن بين أهم مكونات انتاج الإيمان في المسلم: الصدق والعدل، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّـهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّـهَ ۚ إِنَّ اللَّـهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(١).

وعندما نتدبر القرآن الكريم نجد الربط الواضح بين العقيدة والشريعة،

ويتضمن ذلك ربط العقيدة بالأخلاق الفاضلة، بل نجد ان الهدف الأساس من الاعتقاد القرآني هو التمسك بالأخلاق، وهذه بعض الادلة الدالة على دافعية الايمان القرآني على إقامة الاخلاق الفاضلة:

١- **الوفاء بالعهد:** قال تعالى:﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾(٢).

٢- **حفظ الأمانة:** قال تعالى:﴿إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾(٣).

٣- **التعارف بين الناس والمساواة فيما بينهم:** قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٤).

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨.

(٢) سورة الاسراء: الآية ٣٤ .

(٣) سورة النساء: الآية ٥٨ .

(٤) سورة الحجرات: الآية ١٣ .

٤- **القول الحسن والكلمة الطيبة:** قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾(١).

٥- **العدل والاحسان وصلة الرحم والنهي عن مظاهر الفحشاء والبغي:** وهذه الصفات الأخلاقية متداخلة ومترابطة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٢).

٦- **نصرة المظلوم:** والمظلوم هو المُعتدى عليه، قال تعالى: ﴿إِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣).

٧- **اجتناب قول الزور والظن السيء والتجسس والغيبة:** وقد تندرج تحت هذه الصفات صفات اخرى غاية في الخطورة، فقول الزور مثلا يؤدي الى اشعال الفتن وسفك الدماء وزرع العداوة والبغضاء وعقوبة البريء واطلاق الجاني، فقال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّـهَ ۚ إِنَّ اللَّـهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾(٥).

---

(١) سورة الاسراء: الآية ٥٣.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٧٣.

(٤) سورة الحج: الآية ٣٠.

(٥) سورة الحجرات: الآية ١٢.

فالوفاء بالعهد، وحفظ الامانة وادائها، واقامة العدل، والتعارف بين الأفراد والشعوب، والقول الحسن، وصلة الرحم، والنهي عن مظاهر الفحشاء والمنكر والبغي، ونصرة المظلوم، واجتناب قول الزور والتجسس...كل هذه الصفات الأخلاقية وغيرها أمر القرآن الكريم بها بصورة بينة لا لبس فيها، بل جعلها سبحانه تنبع من أساسيات العقيدة الإسلامية، وتأسيسا على ذلك لا يمكن أن تكون عقيدة المسلم تامة إذا خالف فقرة واحدة من الفقرات الاخلاقية التي ذكرناها، فلا يمكن مثلا ان يجتمع في المسلم الايمان وقول الزور، ولا الايمان والتجسس، أما إذا اجتمعا فلابد من وجود خلل في ايمانه، أو جهل في تطبيقه لقواعد الإسلام.

أما السُنّة الشريفة فقد جاءت هي الاخرى بأدلة كثيرة جميعها تثبت العلاقة الوطيدة بين العقيدة والأخلاق، حيث جاء في حُسن المعاشرة والحلم مثلا ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ثلاث من لم يكن فيه لم يتم له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله تعالى، وخلق يداري به الناس، وحلم يرد به جهل الجاهلين)[1].

وقال عليه السلام: (عليكم بالصلاة في المساجد، وحُسن الجوار للناس، واقامة الشهادة، وحضور الجنائز، انه لابد لكم من الناس، ان احدا لا يستغني عن الناس حياته، والناس لابد لبعضهم من بعض)[2].

وهكذا يتبين الترابط الوثيق بين عقيدة المسلم وتطبيق القيم الأخلاقية القولية والفعلية.

---

(١) الكافي ٢/ ١١٦ كتاب الإيمان والكفر.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦٣٥ كتاب العشرة وما يجب من المعاشرة.

تعريف التفكير وعلاقته بالقيم الأخلاقية

الفكر في اللغة : بمعنى اعمال الخاطر في الشيء، ويستعمل التفكير في الوصول الى معرفة حقيقة وجوهر الأمور [١].

وقد عرّف البعض كلمة التفكير بأنها: (اعمال العقل في المعلوم للوصول الى معرفة المجهول) [٢].

واصطلاحا : نتيجة لشمول كلمة التفكير لذلك تعددت تعريفات العلماء في الفكر الإسلامي الى عدة تعريفات منها:

التعريف الأول: كل ما انتجه وسينتجه فكر علماء المسلمين في المعارف الإسلامية من عطاء علمي رصين فهو من الفكر الإسلامي، وما تضمنته علوم الشريعة الإسلامية في جميع الاختصاصات المعروفة كالفقه والاصول والتفسير وغيرها [٣].

التعريف الثاني: جاء بصورة أوسع من التعريف الأول بأنه: (كل ما ألفه علماء المسلمين في شتى العلوم الشرعية وغير الشرعية ...) [٤].

لهذا فان الدراسات التحليلية التي تصدت للفلسفة والنظريات العامة تُعد من الفكر ايضا، ولاسيما ما قدمه ويقدمه المفكرون من عطاء محسوس على المستوى النظري والعملي [٥].

---

(١) ا نظر: لسان العرب: مادة (فكر).المعجم الوسيط : مادة (فكر) ٢/ ٦٩٨.

(٢) المعجم الوسيط ٢/ ٦٩٨.

(٣) تجديد الفكر الإسلامي: الدكتور محسن عبد الحميد ص١٨ .

(٤) رحلة الفكر الإسلامي من التأثر الى التأزم: السيد محمد الشاهد ص٦٣.

(٥) انظر: الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي: الدكتور مصطفى حلميص ص٤٦.

وعلى هذا الأساس فأن استنباط الأحكام الفقهية والاخلاقية من مصادر التشريع المعروفة يُعد من ابداع العقل والتفكير الناضج المملوء بمعرفة العلوم الإسلامية والحكم والعبر وعلل التشريع، والابداع هنا ليس المقصود منه (البدعة) التي نهى عنها الإسلام، بل هو القدرة على استنباط الأفكار من مصادرها الصحيحة وتأسيسها عليها، ومن بين ما ذكرناه النظريات الاخلاقية التي اوضحت الطرق المؤدية الى تطبيق السلوك الأخلاقي الفاضل، وترغب افراد المجتمع على تطبيقه بصورة صحيحة، وتبعث في نفوسهم الطمأنينة والتصديق بأهميته من الناحيتين الشرعية والاجتماعية .

وذكرنا ان العطاء الفكري قد يكون مطابقا للإسلام وقد يكون مخالفا له، كالفكر السياسي المادي الذي تضمن الالحاد ولكنه يُعد من الفكر على الرغم من مخالفته للإسلام.

لهذا جعل الإسلام الضابط الأساس في مشروعية الافكار والنظريات وقبولها من عدمه هو: مبدأ تطابقها مع الأخلاق الفاضلة التي تضمنها النص الإسلامي سواء في القرآن الكريم أو السُنّة الشريفة، فكل الأفكار التي يتوفر النص الصريح على تحريمها فهي محرمة التطبيق والترويج، كالأفكار التي تدعو الى الالحاد وتسفيه الأديان والسلوك الفاضح والمجون.

وان تلك الجرائم الأخلاقية المروعة التي نراها اليوم تفتك بمساحة واسعة من افراد المجتمع، هي بالحقيقة تتضارب مع العقيدة الإسلامية المذكورة، وبسبب ترك البعض عقيدتهم إنتشر بينهم التفسخ الأخلاقي والانحراف الجنسي الى ما غير ذلك من جرائم اخلاقية سيئة.

والذي يثبت أهمية خطورة الذي ذهبنا إليه ما جاء في النص القرآني والسُنّة، حيث جعل القرآن الكريم مقياس مشروعية الأفكار من عدمها العقل، كما جعل الشيعة الامامية العقل مصدرا رابعا من مصادر التشريع التي يُنظر من خلالها إلى فهم النصوص القرآنية والروائية، لهذا أكد القرآن الكريم على مفهوم العقل في عدة آيات، حيث تكررت كلمة (يعقلون) في القرآن الكريم (٢٢) مرة، وتكررت كلمة (تعقلون) في (٢٤) مرة، وتكررت كلمة (الالباب) التي تعني العقول في (١٦) مرة، و (الابصار) في (٩) مرات، و(يتفكرون) في ثلاث مرات، كل هذه الكلمات كررها القرآن الكريم بقصد أهميتها والتأكيد على ممارستها، فأصبحت ظاهرة التفكير عند الكثير من علماء المسلمين بمثابة الفريضة الإسلامية التي يجب اتخاذها منهجا لتعليم القيم الإسلامية وتطبيقا على ارض الواقع[١] .

ومن هنا يتجلى الترابط الوثيق بين نصوص الشريعة والتفكير والاخلاق، وقد اراد الإسلام من المسلمين أن يكونوا مفكرين، ولا يمكن للمسلم ان يتصف بأخلاق سامية إلا بعد ان يكون مفكرا، لأن التفكير يقود المسلم إلى التصديق الحقيقي والواقعي بالعقيدة الإسلامية، وعندئذ يطبق الأخلاق الإسلامية على اساس فهمه للعقيدة، وهذه طائفة من الآيات الكريمة التي تدعو المسلم للتفكير السليم، وليكون مفكرا يصل بتفكيره الى الحقائق العلمية، كما في الآتي :

(١) انظر: التفكير فريضة إسلامية: عباس محمود العقاد ص٧-٨.

١- **قال تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّـهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّـهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۞ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١) .

٢- **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّـهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢) .

٣- **وقال تعالى:** ﴿اللَّـهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون (٣).

---

(١) سورة الانعام: الآيات ٩٥- ٩٩ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٦٤.

(٣) سورة الرعد: الآيات ٢-٤ .

٤- **وقال تعالى:** ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّي هَـٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١).

ان هذه الدعوة الالهية إلى التفكير إذا قام بها المسلمون فمن المؤكد سينتهي بهم الأمر إلى خير الدنيا والآخرة، وسيجتنبون طواعية عن ممارسة كل مفاتن الاثارة والبغضاء وتفكك عرى السلم المجتمعي، كما جاءت مثلا هذه الآية تدعو المسلمين الى المناظرة في الحكمة والموعظة الحسنة والابتعاد عن الجدال المثير، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(٢).

لهذا كان الرسول الأكرم ﷺ يؤكد كثيرا على عدم اطالة الجدال والمناظرة مع المعارضين والمخالفين، ولاسيما الجهلاء والبسطاء من الناس الذين يؤدي جدالهم الى اثارة العداوة والبغضاء، وهذه الحكمة هي من بين أهم الفضائل الأخلاقية التي جاء بها الإسلام، بغية المحافظة على المادة اللاصقة التي تلصق افراد المجتمع ببعضه، وتربطه بالمشتركات من القيم والأخلاق الفاضلة.

---

(١) سورة الانعام: الآيات ٧٦- ٧٩ .

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥ .

المطلب الثانـي

الصلاة

يتضمن هذا المطلب الفقرات الآتية:

تعريف الصلاة لغة واصطلاحا:

الصلاة لغة: الاصل اللغوي للصلاة هو الدعاء والتبريك والتمجيد، يقال: صليتُ عليه أي: دعوتُ له، لهذا ورد في الحديث الشريف: (إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، وان كان صائما فليصل) ومعنى يصل أي: يدعو لأهل الطعام، وقيل الصلاة: هي من المعاني المشتركة بين الدعاء والتعظيم والرحمة والبركة[1] .

والصلاة اصطلاحا: هي عبادة لله تعالى ذات اقوال وافعال مخصوصة، مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم، وقد سميت بالصلاة لاشتمالها على الدعاء وصلة العبد بربه تعالى، لما فيها من قراءة سورة الفاتحة وما يتيسر من سورة قرآنية، وفيها التسبيح في الركوع والسجود، والتسبيح يعني التعظيم، والتحميد يعني الشكر والثناء، وفيها الدعاء المندوب في القنوت، والخشوع القلبي واستحضار الانفعال الروحي في الوقوف أمام الله تعالى في كل اركانها، والتسليم في نهايتها[2] .

---

(١) انظر: لسان العرب ١٤/ ٤٦٥ . المفردات: الراغب الاصفهاني، مادة (صلا) . تفسير الطبري ١٢/ ٤٨ . تفسير الفخر الرازي ١٣/ ٢٢٨. مفتاح الكرامة: العاملي ٥/ ٥و٦ .

(٢) انظر: التعريفات: الجرجاني ص١٧٤ . جواهر الكلام في شرائع الإسلام: الشيخ محمد حسين النجفي ٧/ ٥.

ولو تدبرنا التعريفين اللغوي والاصطلاحي للفظ الصلاة لوجدناه تضمن جميع ما جاء فيه من معاني الصلاة والدعاء وتعظيم الله تعالى، وطلب الرحمة والبركة منه سبحانه الى ما غير ذلك من معان اخرى.

لهذا يمكن استعمال كل معاني الصلاة المذكورة كل في محله وسياقه في أركان الصلاة وغيرها، كالدعاء في محله والتبريك في محله وسياقه وهكذا.

ومن الادلة على استخدام لفظ الصلاة للدعاء مثلا كان الرسول الأكرم ﷺ يصل على بعض من يأتيه بالزكاة، وهذا المعنى ورد في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

والمراد من العطف في الآية الكريمة المغايرة، لأن معنى تطهرهم غير تزكيهم، أي: طهر اموالهم بأخذ الزكاة، ثم زكيهم صل عليهم، أي: ادعو لهم، وقد وصف الله تعالى بأن دعاء الرسول الأكرم ﷺ لهم هو سكن لهم وطمأنينة ورحمة، وقيل، التطهير والتزكية هما صفتان للزكاة، بمعنى ان الزكاة مطهرة لهم ومزكية، والمراد من الطهارة هنا: النقاوة، والتزكية هي جعل الشيء كثير الخيرات[2].

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٢) انظر: جواهر الكلام ٧/ ٥.

ومعنى الصلاة على الرسول الاكرم واهل بيته الأطهار عليهم السلام الدعاء برفع منزلتهم، وهذا فيه تدريب نفسي عظيم يعلّم ويربي المسلم على المحبة والولاء، فلا قيمة للمحبة دون الولاء، ولا قيمة للولاء دون المحبة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّـهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1] وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[2].

والمودة تشمل المحبة والطاعة والولاء لهم والامتثال بما جاء عنهم، وعلى الرغم من اتفاق العلماء على تعريف الصلاة واجماعهم على معانيها إلا انهم اختلفوا فيها من الناحية الفقهية، ولاسيما في هيآتِها وبعض الاركان الاخرى، كأوقاتها وشروط صلاة الجمعة الى ما غير ذلك من اختلافات فقهية اخرى، ولكن الذي يهمنا في هذا البحث هو علاقة الصلاة بموضوع الأخلاق، وهذا الموضوع اتفق فيه جميع العلماء وبدون استثناء من كل المذاهب الإسلامية، حيث قالوا: الصلاة هي العنصر الأساس الذي يؤسس لدى المسلم القوة الطوعية الرادعة التي تمنعه من ارتكاب الأفعال الأخلاقية المشينة، وبالنتيجة تُعد الصلاة قوة دافعة للتمسك بالأخلاق الفاضلة، وناهية عن الفحشاء والمنكر.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.
(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.

علاقة الصلاة بالأخلاق:

لو تدبرنا العبادات لوجدناها تسعى إلى طاعة الله تعالى بغية الامتثال بمكارم الأخلاق، ولا طاعة دون الامتثال بمكارم الأخلاق والقيم الأدبية النبيلة، فالتمسك بالعبادة وانتظام أدائها في اوقاتها المخصوصة كفيلان بتهذيب اخلاق المسلم بصورة تدريجية.

لهذا أمر القرآن الكريم بالصلاة وجعلها وسيلة من الوسائل التي تؤدي الى التمسك بمكارم الأخلاق، بل جعلها الوسيلة الأساسية التي تـنهى المسلم بصورة طوعية عن (الفحشاء والمنكر) والمقصود بالفحشاء والمنكر كل الأخلاق السيئة التي نهى الله تعالى عنها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[1].

لهذا فان إقامة الصلاة بصدق واخلاص تعد المعجزة الكبرى في تهذيب الامم والشعوب والافراد، اضافة الى ذلك انها أهم وسيلة لتذكـير المسلم بالعبودية لربه تعالى وبإسلامه.

وقد روي ان فتى من الانصار كان يصلي الجماعة مع رسول الله ﷺ ولكنه كان يرتكب الفواحش ولم تردعه صلاته عن ارتكابها، فوصفوا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (ان صلاته ستنهاه يوما ما) فلم يلبث بعد فترة إلا ان تاب وترك الفواحش[2].

وقد أكد أهل البيت عليهم السلام ايضا على هذا الترابط بين الصلاة والاخلاق في مواضع قولية وفعلية كثيرة، حيث كانت اخلاقهم تمثل اخلاق القرآن الكريم والسُنّة النبوية الشريفة من خلال عوامل كثيرة منها: تأثير الصلاة في اقوالهم وافعالهم، ومن الادلة

(١) سورة العنكبوت : الآية ٦٠ .

(٢) انظر: مجمع البيان: الشيخ الطبرسي ٨/ ٢٨٥ .

القولية التي تثبت ذلك قول الامام الصادق عليه السلام: (من أحب أن يعلم هل قُبلت صلاته أم لم تُقبل فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر؟)[١].

ولأهمية فرض الصلاة تكرر توكيدها في القرآن الكريم، لأنها العامل المؤثر والأساس في الإنسان نحو الردع الطوعي عن ممارسة كل المعاصي والمخالفات التي عبر عنها القرآن بالفحشاء والمنكر، وبالنتيجة جاء شرط صحة الصلاة مقترن بالتمسك المتواصل بمكارم الأخلاق، وهذه طائفة من آيات القرآن الكريم التي تبين ذلك:

١- **الاستئذان بالدخول**: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾[٢].

٢- **الايمان بالعقائد الغيبية**: قال تعالى:﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾[٣].

٣- **دفع الزكاة للمحتاجين وصلاة الجماعة**: قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [٤].

٤- **الاستعانة بالصوم والصلاة**: قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٥].

---

(١) المصدر نفسه ١٦/ ١٤٢ .

(٢) سورة النور: الآية ٥٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٤٣.

(٥) سورة البقرة: الآية ٤٥.

٥- **القول الحسن ومساعدة المحتاجين**: قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (١).

٦- **أعمال البر ومكارم الأخلاق الاخرى**: قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٢).

٧- **ارتباط الصلاة مع بعضها**: قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ (٣).

٨- **منح الأجر**: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤).

٩- **اجتناب كل مظاهر السكر وعدم الطهارة**: قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (٥).

(١) سورة البقرة: الآية ٨٣.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.
(٤) سورة البقرة: الآية ٧٧.
(٥) سورة النساء: الآية ٤٣.

١٠- **نزاهة اليد**: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّـهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[١].

١١- **عدم تحميل الانسان ما لم يتحمله**: قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ أن خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[٢].

١٢- **الحفاظ على النفس في حالة الحرب**: قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّـهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[٣].

١٣- **الطمأنينة**: قال تعالى: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[٤].

١٤- **احترام الوقت**: قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[٥].

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٧.

(٢) سورة النساء: الآية ١٠١.

(٣) سورة النساء: الآية ١٠٢.

(٤) سورة النساء: الآية ١٠٣.

(٥) سورة النساء: الآية ١٠٣.

١٥- **الابتعاد عن الكسل**: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾[١] .

١٦- **الايمان بالأنبياء**: قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾[٢] .

١٧- **النظافة والغسل**: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣].

١٨- **الجدية والتعقل**: قال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [٤].

لهذا ربط الله تعالى الصلاة بجميع مكارم الأخلاق، بغية جعل المسلم في حالة تواصل بين العبد وربه، وان يستعين على مواصلة ذلك التواصل وطاعة الله سبحانه بالصبر والصلاة، ومن وجوه تلك الطاعة التمسك بالأخلاق الفاضلة، بغية التغلب على كل التصرفات والاهواء النفسية المنحرفة، ثم يؤكد سبحانه بأن الاستمرار والمواصلة على الطاعة من الامور الشاقة والثقيلة التي لا يمكن ان ينهض بعبئها إلا المخلصين الخاشعين لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٥].

(١) سورة النساء: الآية ١٤٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٢.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥٨.

(٥) سورة البقرة: الآية ٤٥. انظر: مجمع البيان١/ ٢١١ .

بل قرن تعالى العمل الصالح مع الإيمان بالله سبحانه، ثم قدم ذلك الايمان والعمل الصالح على الصلاة على الرغم من اهميتها، لأن الايمان والعمل الصالح شرطان لصحة الصلاة، ومن مظاهر العمل الصالح الافعال الاخلاقية الفاضلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

وهكذا نجد منظومة الاخلاق الفاضلة تعتمد على الصلاة اعتمادا وثيقا، فلا قيمة للصلاة دون التمسك بها، ولا يتحقق التمسك بالأخلاق إلا من خلال إيمان راسخ وورع متواصل وصلاة بتدبر.

أن الفعل الأخلاقي هو الذي تحس بعده بالراحة وغير الأخلاقي هو ما تحس بعده بعدم الراحة

(١) البقرة: ٦٢.

المطلب الثالث

الصوم

ويتضمن الفقرات الاتية:

يُعرف الصوم لغة: الإمساك عن الفعل، ويعني ايضا: الإمساك عن الكلام أي: الصمت: قال تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (١).

وفي الاصطلاح: (هو الامساك عن أشياء مخصوصة في زمان مخصوص ممن هو على صفات خاصة) (٢).

لهذا يُعد الصوم من الناحية الاصطلاحية الفقهية: امتناع عن المفطرات المباحة لفترة معينة بقصد عدم تحكمها بالمسلم، لأن الإسلام لا يريد من المسلم أن يكون أسيرا لطعامه وشرابه وغرائزه الجنسية، بل يريده سيدا على غرائزه وهو الذي يتحكم بها، اضافة الى ذلك يُعد شهر رمضان وما فيه من مناسبات عبادية كليلة القدر مثلا مناسبات شعائرية تقرب الصائم لله تعالى وطاعته.

---

(١) سورة مريم: الآية ٣٨. الصحاح: ٥/ ١٩٧٠.

(٢) وسائل الشيعة: ١٠/ ٣٠ . انظر: من لا يحضره الفقيه ٢/ ١٢٠.

المفهوم النفسي والأخلاقي للصوم:

يعد الصوم دورة تدريبية متكاملة في التربية الأخلاقية والنفسية التي تـمكن الصائم التحكم بغرائزه وطبائعه، وهذا التحكم هو مقاومة الاغراء وتأجيل الاشباع.

والمقصود بالإغراء هنا: الافعال التي تؤدي الى مقدمة ارتكاب الجرائم والمخالفات كاختلاط الرجال والنساء الفاضح الذي يؤدي بالنتيجة الى وقوع جريمة الزنا والجرائم الأخلاقية والأدبية الاخرى.

أما تأجيل الاشباع: فهو تدريب المسلم على تأجيل تناول وممارسة المباحات، كالطعام والشراب والتمتع الجنسي المشروع، ليتدرب نفسيا على التحكم بها كما ذكرنا ذلك قبل قليل.

كما يُشعره المسلم بأهمية الزمن الذي يفقده بصورة تدريجية بلحظاته ودقائقه وساعاته وايامه واسابيعه ... حتى ينفذ ويموت، ومن اعظم مظاهر ذلك التأجيل في الصيام هو الصبر النابع من القناعة والتقوى، كانتظار الوقت المحدد لإحلال الافطار حتى يفطر، والوقت المحدد لإحلال (السحور) حتى يمسك، والوقت المحدد لتناول وممارسة المباحات، كالرفث الى النساء والطعام والشراب وسائر المباحات الاخرى.

فالصوم هو الذي يدرب المسلم على التقوى في كل زمان ومكان، لهذا فرضه جل جلاله علينا وعلى من قبلنا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٣ .

وذكر سبحانه تفصيل تأجيل غرائز الانسان الجنسية المباحة الى اوقاتها المحددة في قوله تعالى:﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّـهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّـهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[1].

ولهذا كان الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام يدعو اتباعه استقبال شهر رمضان التمسك بالأخلاق الفاضلة والدعاء لتقبل الأعمال وطيب الخُلق والتواضع وغيرها [2].

ولأهمية فريضة الصيام جعل الله تعالى تقدير أجرها له سبحانه، فهو وحده الذي يثيب عليها، لما فيها من نوايا ومقاصد مقرها قلب الصائم لا يعلمها إلا هو سبحانه، ودليل ذلك ما جاء في الحديث النبوي الشريف: (قال الله عزّ وجلّ: كلّ عمل ابن آدم له إلّا الصوم فإنّه لي وأنا أجزي به)[3].

(١) سورة البقرة : ١٨٧ .

(٢) انظر: من لا يحضره الفقيه ٢/ ٦٢ . مفاتيح الجنان ص٢٣٠ و٢٠٧. وسائل الشيعة ١٠/ ١٥٨ و١٥٩.

(٣) وسائل الشيعة ١٠/ ٣٩٧.

وتعد فترة الصوم ثاني اطول فترة عبادية من بين العبادات[1] حيث يبدأ من الامساك وحتى الفطور، وبهذه الفترة الطويلة يجب على الصائم التمسك بها لحظة بعد اخرى بواجبات الصوم التي يُعَدُّ الالتزام بمكارم الأخلاق اساسها وروحها، فلا يكذب ولا يخون ولا يغش ... ويخلص في معاملاته وعمله، ويتكرر ذلك في كل يوم صوم لشهر رمضان، مما يكسب الصائم حالة من التعويد على مكارم الأخلاق واجتناب سيئاتها.

(١) تُعد فريضة الحج اطول عبادة فرضها الله تعالى، لأنها في أيام معدودة، حيث تبدأ من الاحرام وحتى الاحلال منه، على الرغم من الاختلاف بين هيئة العبادة بين الفريضتين.

المطلب الرابع

الحج

ويتضمن هذا المطلب على الفقرات الاتية:

تعريف الحج:

الحج لغة: القصد، لذلك سمي الطريق محجة، لأنه يوصل الى المقصود، وقيل: هو كثرة القصد الى من تعظمه وفي لفظ الحج لغتان: الاولى فتح الحاء والثانية كسرها [1].

وقيل سمي الحج حجا: لأن الحاج يأتي قبل الوقوف بعرفه الى البيت الحرام، ثم يعود اليه لطواف الحج، ثم ينصرف الى منى، ثم يعود اليه لطواف النساء أو الوداع[2].

واصطلاحا: هو ما اختص بقصد البيت الحرام لإداء مناسك الحج المخصوصة والمتعلقة بزمان مخصوص ايضا [3].

المقاصد الاخلاقية للحج:

لقد فرض الله تعالى مواقيت العبادات بقدر معجز للغاية، فجعل الصلاة في دقائق، والصيام في نهار من شهر رمضان، والحج في ايام معدودات، وفرض الله تعالى الصلاة خمس مرات في اليوم، والصيام مرة واحدة في السنة، والحج مرة واحدة في عمر المسلم.

---

(١) انظر: الصحاح ١/ ٣٠٣ . القاموس المحيط ١/ ١٨٢ .

(٢) انظر:القاموس المحيط ١/ ١٨٢ .

(٣) انظر:المبسوط: الطوسي ١/ ٢٩٦ .

ولو تدبرنا مواقيت هذه العبادات لأدركنا انها فُرضت بتوقيتات غاية في الإعجاز من حيث كونها تكفي لتربية المسلم على مكارم الأخلاق والتقوى في جميع شؤون الحياة، بشرط أن يتدبر المسلم معانيها ومقاصدها ومعرفة كيفية تطبيقها على الوجه الصحيح، بغية الاستفادة من دروسها التربوية والأخلاقية النبيلة.

حيث فرض الله تعالى الحج مرة واحدة في العمر، بحيث يكفي لتعميق الإيمان بجميع أركان الإسلام في نفوس المسلمين من خلال اجتماع المسلمين مع بعضهم من كل بقاع العالم على أرض مهبط الرسالة المحمدية الشريفة، ليتذكروا تاريخهم المحمدي على أرض الرسالة، بغية تطهير نفوسهم من الذنوب ونزع الحق منها اتجاه الآخرين، حيث تعزز هذه الممارسة العبادية بناء وحدة ايمان إسلامي مشترك بين المسلمين على اختلاف لغاتهم وقومياتهم واشكالهم، ذلك من خلال تعارف الحجاج مع بعضهم، ومساعدة بعضهم للبعض الآخر، كونهم يؤدون شعائر مشتركة وبمكان واحد ونحو هدف واحد وهو مرضاة الله تعالى، اضافة الى تحقيق المكاسب المادية المشروعة والمشتركة فيما بينهم تلك المنافع الكثيرة التي ينتفعون بها، كالتجارة وجلب السلع لبيعها وتداولها وتشغيل الناس واطعامهم الى ما غير ذلك .

كما ان المشاهد المقدسة للحج تذكرهم بكل مفردات العمق الاعتقادي والتاريخي للإسلام، كمقام سيدنا ابراهيم عليه السلام والمشعر الحرام وغيرهما.

ولا تكون شعائر الحج مؤثرة ايجابيا في أخلاق المسلم إلا من خلال ممارستها في اجواء يسودها الخشوع والأمن والاطمئنان، لهذا جعل الله تعالى أرض الحرمين وديارها المقدسة آمنة من الخوف والجوع والعطش، ودليل ذلك قوله تعالى:﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[1].

فالحج عامل مؤثر بصورة ايجابية في نفسية المسلم وسلوكه، ومن أهم مظاهر هذا التأثير ما يلي:

١- **التآخي والتآلف**: حيث يتعلم المسلم في الحج بأنه أخو لجميع المسلمين من ناحية، وعلى أساس ان الانسان اخو الانسان أحب أم كره، كون الناس كلهم من أولاد آدم عليه السلام من ناحية اخرى، ودروس ذلك مستفادة من ممارسة شعائر الحج في مواضع كثيرة منها السعي بين الصفا والمروة، وما لذلك من استذكار لقصة هاجر وبحثها عن الماء بين الصفا والمروة، واستذكار النبي ابراهيم عليه السلام ودعوته الى التوحيد مقابل أداء شعائر الحج والطواف حول مركز البيت الواحد، وشرط صحة تلك الشعائر ان تكون خالصة لله الواحد الأحد الى ما غير ذلك من مقاصد اخرى.

٢- **النصيحة**: وهي التي يتعلمها الحاج من خلال أداء المناسك، حيث يُعلم بعضهم بعضا، وينصح بعضهم بعضا، العالم يُعلم الذي لا يعلم، ويرشد بعضهم بعضا على المشاهد المقدسة، وبين هذا التعليم وذاك الارشاد النصح والتوجيه الحسن .

٣- **اجتناب الرفث والفسق والجدال**: وذلك لقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٩٧ .

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

ومعنى الرفث: أي الجماع أو التصرفات الاخرى التي يقوم بها الرجل مع زوجته التي تفسد الصيام، حيث ينبغي تأجيلها الى ما بعد الاحرام، ومعنى الفسوق ارتكاب المعاصي التي منها الأخلاق السيئة كالسب والشتم والكذب والربا وشهادة الزور وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم وسائر المعاصي، وعلى الرغم من وجوب اجتناب هذه الافعال في جميع حياة المسلم ولكن شدد القرآن الكريم على تحريمها في الحج اكثر، أما الجدال فهو المحادثة المؤدية الى الكراهية والبغضاء، والذي منه السجال والحدة في المناقشة والعناد في المناظرة الى ما غير ذلك[1].

٤- **الخشوع لله تعالى**: وهو استحضار تواصل النية بقلب الحاج بأن عمله لله تعالى وحده.

٥- **المساواة بين جميع المسلمين**: وهو تعليم المسلم في الحج عدم التفرقة بين جميع المسلمين غنيهم وفقيرهم اسودهم وابيضهم الى ما غير ذلك.

هذه أهم القيم الأخلاقية التي تعلّم وتدرب المسلم في الحج، فهي امتناع دائم عن المحرمات، وامتناع مؤقت عن المباحات.

رأس الحكمة خشية الله تعالى

(١) انظر: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار: يوسف بن عبد الله بن عبد البر ٣/ ٨ .

المبحث الثالث

علاقة الأخلاق بالعبادات المستحبة

ويتضمن هذا المبحث على المطالب الاتية:

المطلب الأول

قراءة القرآن الكريم

قال رسول الله ﷺ: (فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه)[1] وقال الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: (افضل الذكر القرآن به تشرح الصدور وتستنير السرائر)[2] وقال ايضا: (الله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم) [3].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال: (ان أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميين ما خلا النبيين والمرسلين فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم، فان لهم من الله العزيز الجبار لمكانا عاليا)[4].

---

(١) بحار الأنوار: ٨٩/ ١٩ .

(٢) ميزان الحكمة ٨/ ٦٧ .

(٣) نهج البلاغة كتاب ٤٧.

(٤) الكافي: (ط - الإسلامية)٢ / ٦٠٣.

فالقرآن الكريم أعلى من كلام الأدميين، فلا يجوز استضعاف حقوق العاملين في حقوله، لأن لهم من الله العزيز الجبار مكانا عاليا [١].

لهذا لا يمكن لأي مسلم أن يهجر القرآن الكريم ولاسيما إذا اراد المسلم أن يكلمه الله تعالى فليقرأ القرآن الكريم، أما إذا اراد أن يُكلم الله تعالى فيمكن ذلك من خلال الصلاة، ولاسيما أن جملة الأخلاق الفاضلة ذكرها القرآن الكريم بعدة وسائل وسياقات، كالوعظ والعبر والقصص والأحكام وغيرها [٢].

ومن الجدير بالذكر ان الأخلاق لا تعني فقط سمات وصفات معينة نابعة من عوامل تقليد المجتمعات المتحضرة فحسب، بل هي من الناحية الإسلامية تلك السمات والصفات النابعة من إيمان بالعقيدة وتصديقها، والمركز الأول والأساس لكل ذلك هو القرآن الكريم .

لهذا جاء في حديث طويل لأم سلمه رضي الله عنها حول لقاء المسلمين المهاجرين بنجاشي الحبشة، قال جعفر بن أبي طالب عليه السلام للنجاشي: (وأمرنا أي: رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث واداء الأمانة وصلة الرحم وحُسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله تعالى وحده ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فعدد عليه أمور الإسلام .. ثم قال: فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله تعالى وحده ولا نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، واحل لنا ما احل لنا ...) [٣] .

---

(١) الوسائل ٢/ ٨٢٥ .

(٢) انظر: اصول الكافي ٢/ ٥٧٧ .

(٣) انظر: التلخيص الحبير في تخريج احاديث الرافعي الكبير: الفضل أحمد بن علي العسقلاني ص٨٩ .

مما تقدم يتضح ان الدين يرتبط بعضه ببعض، والأخلاق هي جزء لا يتجزا منه، والقرآن والسنّه مصدر التشريع الأول، فاذا تخلى المسلم عن الاخلاق تخلى عن كل تلك القيم والمفاهيم، لذلك لابد من المواظبة على قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة وبتروي وتدبر، ومطالعة تفسيره وعلومه الأخرى.

المطلب الثاني
العمرة

ويتضمن الفقرات الاتية:

تُعرف العمرة لغة: الزيارة [١].

واصطلاحا: هي زيارة بيت الله الحرام على وجه مخصوص[٢].

وتُعد العمرة من المستحبات بخلاف الحج الذي يُعد فريضة واجبة مرة واحدة في عمر المكلف، ويستحب ايضا على المسلم تكرار الحج عند القدرة والاستطاعة، ولكن بنية الاستحباب وليس الوجوب، قال الإمام الصادق عليه السلام: (الحاج والمعتمر وفد الله تعالى ان سألوه اعطاهم وان دعوه اجابهم، وان شفعوا شفعهم، وان سكتوا بدأ بهم، ويعوضون بالدرهم ألف ألف درهم) [٣] . وقد ذكر بعض الفقهاء بان العمرة واجبة كالحج، وقالوا ان هذا الرأي قال ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وغيرهم، ودليلهم في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّـهِ﴾ [٤] .

---

(١) انظر:القامو س المحيط ٢/ ٩٥.

(٢) ا انظر: تذكرة الفقهاء: الحسن بن يوسف بن المطهر ٧/ ٩ .

(٣) الكافي ٤/ ٢٥٥ . التهذيب ٥/ ٢٤و٧١.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٦ . والظاهر تأويل هذا القول وجوب العمرة عند دخول الحرم في الحج، وقد قال باستحبابها الفقهاء.

وكثيرا ما تشترك معظم مناسك الحج مع مناسك العمرة، كالطواف والسعي وغيرهما، وقد جعل الله تعالى الطواف حول البيت الحرام فيه رمزية كبيرة تعني ان المسلم في الحج والعمرة يدور حول بيت الله الواحد الذي يُعد بمثابة مركز الايمان بالتوحيد هذا من جهة، ومن جهة اخرى بما ان الطواف مشتركا بين الرجال والنساء، وما للمكان من زحمة وتلامس الأجسام مع بعضها، ذلك فيه اختبار للمسلم بين النظر الى الكعبة لمواصلة التذكير بمركز التوحيد وبين ترك الشعور بشهوات الدنيا المحرمة[1].

وهكذا يتجلى الالتزام الوثيق بين رمزية الشعائر والتمسك بالقيم الأخلاقية النبيلة من خلال ممارسة اعمال الحج والعمرة .

سبحان الله والحمد لله

(١) انظر: تذكرة الفقهاء ٧/ ١١. التهذيب ٥/ ٤٣٣ و ١٥٠٢ .

المطلب الثالث

زيارة قبور الأولياء والصالحين

لقد حث رسول الله ﷺ على زيارة القبور، لما فيها من تربية روحية مهمة، فإذا كان القبر لأحد ابويك او قريب منك فان زيارته وقراءة الفاتحة في ذلك فائدة لصاحب القبر، وعرفان بجميله الذي قدمه لك في الدنيا، وفيه ايضا مواصلة لاستذكاره، وتهذيب لجبروتك في حب الدنيا المفرط، وتذكّره بأن مثواك بعد حين هو بنفس تلك الحفرة من التراب وهي التي وضع فيها الميت، وما لهذه التربية من تأثير فعال في تهذيب النفس وهدم جبروتها وتفتيت حبها الفاحش لشهوات الدنيا ومنافعها الزائلة.

أما إذا كان صاحب القبر إماما أو من الأولياء الصالحين ففي الزيارة أعظم التأثير في الولاء لصاحبه واستذكار لسيرته التي تعد بالنتيجة بمثابة الاستذكار الفعال لعموم الإسلام، وان جميع الشخوص زائلة ولا يبقى إلا الباقي الأوحد ألا هو الله تعالى، فكل حيّ يموت ولا يبقى إلا وجه الله سبحانه.

ففي زيارة اضرحة الأئمة استذكار ووعظ وعبر وتجديد للولاء والمحبة لهم، وان حب الرسول الاكرم وأهل بيته الاطهار عليهم السلام من أساسيات العقيدة، قال الامام الصادق عليه السلام: (حبنا إيمان وبغضنا كفر)[1].

---

(١) الكافي ١/ ١٧٨ باب فرض طاعة الائمة .

وذكر الشيخ جعفر السبحاني بخصوص زيارة قبور الموتى بان: زيارة القبور تنطوي على آثار اخلاقية وتربوية هامة، لأن مشاهدة المقابر تضم في طياتها مجموعة من رفاة الذين عاشوا في هذه الحياة، ثم انتقلوا الى الاخرة، كما انها تؤدي الى الحد من الطمع والحرص على الدنيا، وربما يغيّر الإنسان فيترك الظلم والمنكر ويتوجه الى الله تعالى والآخرة، لذلك قال الرسول الأكرم ﷺ:زوروا القبور فأنها تذّكركم بالآخرة[١]

ولزيارة القبور أهمية بالغة في تأديب النفس وتربيتها على حب الآخرة والتواضع، وفي زيارة مراقد الائمة والصالحين نتائج بالغة الاهمية تشير الى الشكر والتقدير اليهم لما قدموه من تضحيات كبيرة في سبيل الاسلام والمسلمين، وهذا المعنى جاء واضحا في الكثير من احاديث الرسول الاكرم ﷺمنها: (من حج فزار قبري بعد وفاتي كمن زارني في حياتي)[٢].

ويعرف المؤمنون ان لزيارة الامام الحسين عليه السلام خصوصية لما تذكّـرنا بتاريخ حافل بالعطاء والعبر والتضحية والفداء والشهادة الخالصة لله تعالى، وتعلمنا سمو الاخلاق وطيبها، كما يستذكر المسلم في زيارته للإمام الحسين عليه السلام سيرته الشاخصة بتلك الاخلاق الفاضلة والنبيلة المملوءة بالمواعظ والحكم الأخلاقية في كل فقرة من فقراتها.

---

(١) انظر: شفاء السقام في زيارة خير الأنام: تقي الدين على بن عبد الكافي بن علي السبكي ص١٠٨ دار الكتب العلمية . انظر: بحوث قرآنية في التوحيد والشرك: الشيخ جعفر السبحاني ص٥٦ موقع مركز الابحاث العقائدية.

(٢) بحوث قرآنية ص٥٩ .

ومن امثلة تلك السيرة العطرة ما يروى بان الإمام عليه السلام مرّ ذات يوم بمساكين يأكلون بالصفة، فقالوا له: الغداء ... فنزل اليهم وقال: (ان الله تعالى لا يحب المتكبرين) فتغدى معهم، ثم قال لهم: (قد اجبتكم فأجيبوني) قالوا: نعم، فمضى بهم الى منزله[1].

وقد نهى الله تعالى عن زيارة قبور الطغاة والظلمة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2].

وبالنتيجة فان الزيارة تذكر الزائر بمبادئ وقيم الأخلاقية فاضلة مصدرها سيرة الاولياء والصالحين، لتحصن في الزائر الاخلاق الفاضلة والتوحيد والاخلاص لله تعالى، ولاسيما ان من افعال زيارة المشاهد المقدسة الدعاء من الله تعالى وحدة دون سواه.

الحمد لله

(١) انظر: الفصول المهمة ص١٧٥. انظر: تاريخ مدينة دمشق ١٤/ ١٨١.
(٢) سورة التوبة: الآية ٨٤.

المطلب الرابع
المستحبات الأخرى

ويتضمن هذا المطلب على بعض الاعمال المستحبة التي تعزز الاخلاق والفضيلة، وهذه طائفة منها :

١- **زيارة المرضى** : تعد زيارة المريض في مشفاه أو بيته من بين أهم الأعمال التي أمرنا بها الرسول الأكرم ﷺ وأكدت عليها روايات اهل البيت عليهم السلام لأنها تدلل على اظهار محبة الشخص الزائر للمريض، كما انها تعزز ثقة المريض بذلك الزائر، فهي وسيلة توطد الاواصر الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وتبعث في نفوسهم المحبة والود والاحترام .

وينبغي ان تكون زيارة المريض نافعة ومفيدة له، بحيث تضيف عليه البهجة والسرور والعزيمة، فلا يجوز للزائر مثلا زيارة المريض في أوقات حرجة تضاعف عليه مرضه، وتزعج من حوله، لهذا ينبغي ان يأخذ الزائر موعدا من المريض أو من أهله لزيارته، وأن لا يتأخر عنده كثيرا، بحيث يراعي حالة المريض الصحية.

فالكثير من المرضى مثلا لا يطيق التحدث كثيرا، بل بعضهم لا يحتمل النطق والاشارة وحتى الالتفات، الى ما غير ذلك من الحالات الحرجة التي ينبغي ان يراعيها الزائر، ويستحسن اصطحاب هدية نافعة تظهر مدى الزائر واحترامه لذلك المريض.

وقد يحتاج الكثير من المرضى في ظروف مرضهم الى الكثير من المساعدة، لذلك فمن المستحسن أن يجلب الزائر للمريض المراد زيارته شيئا يستفاد منه في مرضه، أما اذا لم تتوافر للزائر الظروف المناسبة لشراء الهدية حينئذ يكفي منه الدعاء الصادق للمريض بالعافية والشفاء .

زيارة المرضى في القرآن والسُنّة:

هذه طائفة من الآيات الكريمة والاحاديث الروايات الخاصة باستحباب زيارة المرضى، كما في الآتي:

١- قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[١] ووجه الدلالة من الآية الكريمة هي أن الرسول الأكرم (صل الله تعالى عليه واله وسلم) هو المُرسل رحمة لجميع البشر، ومن وجوه الامتثال بتلك الرحمة أن يرحم بعضنا بعضا، وزيارة المريض تعد أحد وجوه الرحمة واشكالها.

٢- قال الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (ان من أعظم العوائد أجرا عند الله تعالى لمن إذا اعاد اخاه وخفف الجلوس، إلا أن يكون المريض يحب ذلك ويريده ويسأل ذلك)[٢] .

٣- قال الامام الصادق عليه السلام: (تمام العبادة ان تضع يدك على المريض إذا دخلت عليه)[٣].

٤- قال مولى الامام الصادق عليه السلام: مرض بعض مواليه فخرجنا اليه نعوده، فاستقبلنا الامام عليه السلام في بعض الطريق، فامرنا ان نأخذ معنا من الهدية ما يستريح اليها

(١) سورة الانبياء: الآية ١٠٧ .
(٢) وسائل الشيعة : ٢/ ٤٢٦.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٤٢٦ .

المريض، وما يتمكنون على شرائها دون تكلف أو تبذير[١] .

٥- وعن الامام الكاظم عليه السلام ان رجلا شكى اليه، قال له: انني في عشرة نفر من العيال كلهم مرضى، فقال عليه السلام: (داوهم بالصدقة فليس شيء أسرع إجابة من الصدقة ولا أجدى منفعة للمريض منها)[٢].

٢- تشييع الجنائز :من الاعمال المندوبة التي يحبها الله تعالى تشييع الجنائز، لما فيها من أجر عظيم، واظهار محبة اهل واقارب واتباع الميت للمشيعين، واستذكارهم للموت ولنهاية الإنسان.

تشييع الجنائز في السُنة الشريفة

هذه طائفة من الاحاديث والروايات التي تؤكد استحباب تشييع الجنائز كما في الآتي:

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من اتبع جنازة مسلم ايمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلي عليها ويفرغ من دفنها فانه يرجع من الاجر بقيراطين، ومن صلى عليها ثم رجع قبل ان يدفن فانه يرجع بقيراط) وقال: (القيراط مثل الجبل)[٣] .

(١) المصدر نفسه ٢/ ٤٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٤٣٣ .

(٣) صحيح البخاري رقم الحديث (١٣٢٥) ومسلم (٩٤٥).

٢- وجاء عن اهل البيت عليهم السلام من آداب التشييع ان يكون المشي خلف الجنازة، حيث روي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: (اتبعوا الجنازة ولا تتبعكم...)[١].

ومما ينبغي الاشارة اليه، ان الكثير من العادات والتقاليد التي ليس لها علاقة بالإسلام رافقت هذه الطقوس والممارسات مما اثقلت كاهل اهل الميت وزادت عليهم الحزن حزنا، كما انها ليست فيها ما ينفع الميت من الثواب، خصوصا إذا كانت دوافع تلك الممارسات يحدوها الرياء وارضاء الناس، وغايتها لغير الله تعالى.

ومن ذلك ما روي عن الامام الصادق عليه السلام انه لما قُتل جعفر بن أبي طالب عليه السلام أمر رسول الله صلى الله عليه وآله السيدة فاطمة عليها السلام أن تتخذ طعاما لأسماء بنت عميس زوجة جعفر ثلاثة أيام، فجرت بذلك السُنّة أن يصنع لأهل الميت طعاما ثلاثة أيام، وقد سار عليها أهل البيت عليهم السلام واتباعهم من بعدهم[٢].

لذلك ينبغي ان نترك تلك العادات والتقاليد التي ليس فيها أي ثواب للميت ولأهله أو تقرب لله تعالى، وانما هي من اعمال الجاهلية، كما قال بذلك الامام الصادق عليه السلام: (ان الأكل عند اصحاب المصيبة من عمل الجاهلية) [٣].

لهذا فان هذه العادات والتقاليد ليس لها أي مستند شرعي، ولكن أول ما تمسك بها هم عوام الناس ثم نشروها، ثم أخذت تنتشر كالنار في الهشيم، مما أصبحت تلك العادات وكأنها من الدين وملزمة لرحمة الميت.

---

(١) وسائل الشيعة ٣/ ٢٤٠. الكافي ٢/ ٢١٧ .

(٢) الوسائل ٣/ ٢٣٧ .

(٣) الكافي ٢/ ٢١٧.

اضافة الى ذلك ظهرت ممارسات اخرى ايضا ليس لها أي دليل من اصول الشريعة الإسلامية، كاستخدام البخور ووضع المصاحف فوق القبور للتبرك، وترميم قبور الناس المندرسة والمنسية بالمرمر والاحجار الكريمة، الى ما غير ذلك من الافعال والممارسات التي ليس لها دليل في سُنّة أهل البيت عليهم السلام.

٣- إفشاء السلام على الناس وعند دخول البيوت: المقصود بإفشاء السلام القاء السلام على من تلقاه، وقد ذكره الله سبحانه في دخول البيوت، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

ان مقاصد هذه الآية الكريمة: عدم جواز الدخول الى غير بيوتنا إلا بعد الاستئناس والسلام على اهلها، أي: موافقة اهل البيت بالدخول عن طيب خاطر، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستأذن من اصحابه ثم يدخل الى منازلهم، فلا يدخل بيوتهم حتى يأذنون له بالدخول، حينئذ يسُلم على من استقبله من أهل البيت، ويدخل حتى يجلس في المكان المخصص للضيافة، ومما يُروى في سبب نزول هذه الآية ان امرأة من الأنصار جاءت لرسول الله صلى الله عليه وآله فقالت له: اني أكون في بيتي بحالة لا أحب أن يراني فيها أحد، فنزلت بذلك الآية (٢).

(١) سورة النور: الآية ٢٧ .

(٢) انظر: تفسير التبيان ٨/ ٥٧٣ .

ووجه الدلالة منها: إذا أراد الإنسان زيارة أحد في بيته عليه أولا أن يأخذ منه موعدا، كما ذكرنا ذلك قبل قليل، ثم يأتي لبيته بذلك الموعد، فيطرق الباب، فيُسلم على من استجاب لطرق الباب، فيسأله الدخول، فان وافق عن طيب خاطر دخل، وان لم يوافق رجع عن طيب خاطر، لأن ذلك من حق صاحب البيت، وهو أعلم بحاله داخل بيته[١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[٢].

ولذلك اصبح القاء السلام من سمات دين المسلم، ورده من سماته ايضا[٣].

فالمجتمع الذي يتسابق أفراده على البدء بالسلام فيه عظيم الدلالة على اخوة بعضه بعضا، ونشر الامن والطمأنينة بين أفراده، واظهار محبة أحدهم للآخر، ولاسيما ان السلام هو بوابة فاتحة السلام والخير والمحبة وتعارف الإنسان على الاخرين.

وهذه طائفة من الأحاديث والروايات الدالة على ذلك:

١- **تكرار السلام بتغير المكان**: قال رسول الله ﷺ: (إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فان حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر، ثم لقيه فليسلم عليه)[٤].

---

(١) انظر: المصدر نفسه ٨/ ٥٨٣ وما بعدها .

(٢) سورة النساء: الآية ٨٦ .

(٣) انظر: تفسير التبيان ١/ ٤٥٣.

(٤) كنز العمال ٩/ ١٢١.

٢- **فضيلة افشاء السلام في العالم**: قال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟) قالوا: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: (إفشاء السلام في العالم) وقال ﷺ: (إذا تلاقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح، وإذا تفرّقتم فتفرّقوا بالاستغفار) [١].

٣- **فضيلة المصافحة اثناء السلام**: عن الامام الباقر عليه السلام: (إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه وليصافحه، فان الله عز وجل أكرم بذلك الملائكة فاصنعوا صنع الملائكة)[٢].

٤- **عظمة كلمة السلام**: وان كلمة السلام هي اسم من أسماء الله الحسنى، فما اعظم ان تلقي على أخيك الإنسان السلام هذا الاسم العظيم وانت تحيه بأعظم الاسماء واجلها، لهذا قال الرسول الأكرم ﷺ: (ان السلام اسم من اسماء الله تعالى فأفشوه بينكم) [٣].

٥- **فضيلة ابتداء السلام**: قال الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: (السلام سبعون حسنة تسعة وستون للمبتدئ وواحدة للراد)[٤].

٦- **الالتزام بآداب السلام**: وللسلام آداب كثيرة منها أن يُسلم الصغير على الكبير، والواحد على الأثنين، والقليل على الكثير، والراكب على الماشي، والمار على الواقف، والواقف على الجالس، وان لا ينزع المسلم يده من المصافحة حتى ينزع منها الآخر، فعن الامام الصادق عليه السلام انه قال: (ما صافح رسول الله ﷺ رجلا قط فنزع حتى يكون هو الذي ينزع يده منه)[٥].

---

(١) انظر: ميزان الحكمة: محمد الريشهري ٢/ ١٢٤٩.
(٢) انظر: الكافي ٢/ ١٨١.
(٣) ميزان الحكمة ٢/ ١٣٤٩ .
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٣٤٩ وما بعدها .
(٥) الكافي ٢/ ١٨٢ .

٧- **اللقاء بوجه مبتسم**: ينبغي ان يلاقي المسلم أخاه بوجه مبتسم، وان لا يواجهه بوجه عبوس بحيث ينفّر الآخرين من ملاقاته، حيث قال الرسول الأكرم ﷺ: (ان الله تعالى يبغض العبس في وجه الاخوان) [١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: (إذا لقيتم اخوانكم فتصافحوا واظهروا لهم البشاشة والبشر وعندما تتفرقوا ما عليكم من الاوزار قد ذهبت)[٢].

وينبغي ان يكون في روح السلام الشعور بالود والمحبة والصفاء والاخاء والحياء والامانة والآداب الأخلاقية الاخرى، لأن كلمة السلام تمثل الكلمة الجامعة لكل ذلك، وما اقبح من يلقي السلام على احد وهو ينوي له في قلبه خلاف السلام.

٤- **البسملة عند البدء بالطعام والحمد عند الانتهاء منه**:وهيأة ذلك أن يقول المسلم البسملة قبل المباشرة بمد اليد الى الطعام، ويحمد الله تعالى عند الانتهاء منه، وان يأكل المسلم بيده اليمنى، ومن الزاد الذي أمامه تأدبا مع الاخرين الذين يأكلون معه، ذلك لقول رسول الله ﷺ: (سَمّ الله وكل بيمينك، وكل مما يليك)[٣].

ويمكن اجمال فوائد ذكر البسملة في الطعام في النقاط الآتية:

١- **الاقرار بالشكر وعدم الغفلة**: ويتمثل ذلك بإقرار المسلم بان كل ما عنده هو من عطاء الله تعالى، وانه غير غافل عن ذكره سبحانه حتى في سد شهوته.

---

(١) ميزان الحكمة ١/ ٢٦٢ .

(٢) نفس المصدر ١/ ٢٦٢ .

(٣) انظر: صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل البخاري تـ (٧٠ هـ) مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٨٩ هـ .

٢- الحصول على الحسنات: حيث قال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (يا علي إذا أكلت فقل بسم الله الرحمن الرحيم وإذا فرغت فقل الحمد لله، فان حافظيك لا يبرحان يكتبان لك الحسنات حتى تبعد الطعام عنك) وعن الامام الصادق عليه السلام انه قال: (قال رسول الله ﷺ: (ما من رجل يجمع عياله ويضع مائدته فيسمون في أول طعامهم، ويحمدون في آخره فترفع المائدة حتى يغفر لهم)[١].

والأحاديث المذكورة هي مؤكدة لما جاء في قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّـهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [٢] .

٣- الجهر بالبسملة واتمام قراءتها: من الأفضل للمسلم أن يذكر البسملة عن البدء بالطعام جهرا، حتى يقلده الآخرون بها، وقد تواترت الروايات ان الأئمة الاطهار عليهم السلام كانوا يسمون جهرا، ويأكلون بيمينهم، ومعنى الحمد: الشكر والثناء، فلما تقول: الحمد لله رب العالمين أي: شكرا لله رب العالمين على ما قدمت لنا من طعام حلال المصدر، حيث ورد عن الامام الحسن عليه السلام في التفسير المنسوب اليه ان معنى ذلك هو مدح الباري تعالى والثناء عليه وشكره على ما انعم علينا من نعم وطيبات[٣].

---

(١) شبكة الكفيل العالمية، وقد نشرت الموقع الالكتروني المذكور ان اللاعب المسلم مسعود اوزيل نجم كرة القدم الالماني تربطه بالنجم البرتغالي كريستيانو رونالدو علاقة صداقة قوية ومتينة، مؤكدا انه أعز صديق له في الفريق الملكي، وأشار الى أمر مهم وهو: ان البرتغالي يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) عندما يتناولان الطعام سوية، وقال ان ذكر البسملة فيه البركة والكثير من الفوائد .

(٢) سورة البقرة: الآية ٦٠ .

(٣) انظر: تفسير الامام الحسن العسكري عليه السلام ص٣٠ نشر مدرسة الامام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ط ١ قم ١٤٠٩ قمري .

ومن الفوائد الأخرى التي لها علاقة بتناول الطعام عدم الاسراف في الطعام والشراب، بحيث يأتي المسلم الى الطعام وهو جائع، وينتهي منه وهو يشتهيه.

هذه اهم آداب الطعام وما فيها من فوائد جمة من الناحيتين الأخلاقية والصحية.

٤- آداب المجلس وحقوق الجار: ينبغي على المسلم التمسك بالأخلاق والآداب الإسلامية ومن بينها آداب المجلس، حيث كان الرسول الأكرم ﷺ يختار مجلسا فارغا فيجلس فيه اينما كان موقعه، دون أن يأمر احد بالقيام، ولكن كان اصحابه يتفسحون عن صدر المجلس ليجلسوا فيه رسول الله ﷺ دون أن يأمرهم بذلك، فهم يفسحون له صدر المجلس بما يناسب شخصه الكريم طواعية، وقد استنبط العلماء على هذه السُنّة النبوية الأخلاقية عدة قيم أدبية منها :

١- عدم امر الإنسان القيام من مجلسه ليجلس به غيره: لا يجوز من الناحية الأخلاقية أن يأمر المسلم احد الجالسين في المجلس بالقيام والجلوس في مكانه، أو ليجلس بمكانه آخر.

٢- عدم الجلوس بمكان فارقه صاحبه ثم يعود اليه: فلا يجوز للمسلم من الناحية الأخلاقية ايضا الجلوس بمكان أحد الجالسين إذا ترك مكانه مؤقتا ثم يرجع اليه .

٣- عدم جلوس المسلم بين شخصين متجاورين لسبب معين: كأن يجلس الرجل وأبنه، أو يجلس شخصان يدور بينما حديث خاص الى ما غير ذلك من الأسباب المعروفة، نعم يجوز الجلوس بينهما في حالات معينة، منها على سبيل المثال: إذا طلبا منه الجلوس، وينبغي الحديث في المجالس في القضايا النافعة والمفيدة والابتعاد عن الاطناب والكلام البذيء والمزعج.

٤- عدم الجلوس بالطرقات بقصد النظر الى ما لا يرغب المارة النظر اليه: وغالبا ما يحدث ذلك مثلا عند الجلوس في الممرات والطرق الضيقة، وذلك لقول رسول الله ﷺ (إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ إِلا الْمَجْلِسَ،فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ،فَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ)[1].

وقد جاء هذا التحذير (اياكم والجلوس بالطرقات) يعني ان الله تعالى لا يحب أن تجلسوا في الطرقات والممرات وتنظروا الى عورات المارة، إلا ان تحريم الجلوس في الطرقات ليس من الكبائر كتحريم شرب الخمر مثلا، لهذا قال العلماء: هذا نهي،حمل على الكراهة، أي يُكره الجلوس في الطرقات، وسبب الكراهة هو الجلوس بسبب النظر الى عورات الناس، والانشغال عن العمل والعبادة ..

٥- السلام قبل الكلام: يجب على المسلم أن يُسّلِم اول ما يظهر أمام الجالسين، وعندما يجلس يدعو له الجالسون بالخير، وهو يرد عليهم بدعاء الخير ايضا

٦- اختيار الجليس الصالح من افراد المجلس: بغية الاستفادة من احاديث الجالسين إذا كان بينهم من أهل العلم والفضل .

(١) نيل الأوطار: الشوكاني الزيدي رقم الحديث ٢٤٢٠.

٧- والابتعاد عن ظن السوء والتجسس والافتراء والنفاق والشماتة والنميمة والاستخفاف بالآخرين، وكل ما يغيض الجالسين في المجلس، ولا يصح الخروج من المجلس إلا بعد الاستئذان من صاحب المجلس .

هذه أهم آداب المجلس التي كان الرسول الأكرم ﷺ واهل بيته الأطهار عليهم السلام سائرون عليها، لأن المجالس في وقتنا الحاضر كالمدارس يتعلم الأنسان فيها الفضائل، ويتعارف على الاخرين ويتعود على ممارسة العادات والتقاليد المشروعة، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم﴾[1] .

٥- حقوق الجار

ويتضمن الفقرات الاتية:

يُعرف الجار لغة: هو الذي يجاورك، وجاور الرجل مجاورة وجوارًا وجُوارًا، والكسر أفصح، وجارك: الذي يجاورك، والجمع: أجوار وجيرة وجيران، وعن ابن الأعرابي: الجار: الذي يجاورك بيت بيت، والجار: الشريك في العقار، والمقاسم، والحليف، والناصر، والشريك في التجارة، وقال الراغب: الجار: من يقرب مسكنه منك [2].

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) انظر: لسان العرب ٤/ ١٥٥. المصباح المنير ص٦٣. المفردات ص١٠٣.

واصطلاحا: اختلف العلماء في المقدار الذي يصدق عليه مسمى الجوار الى عدة أقوال، فمنهم من قال: أربعون دارًا من كل ناحية، وقيل: كل من سمع النداء فهو جار، لذلك قالوا ان الذين يسكنون في المدينة الواحدة مهما بلغوا وهم يسمعون نداء الصلاة فهم جيران، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾[١].

ويترتب على حق الجوار القائم على أخوة الإسلام الكثيرمن الاحكام، كالشفعة والمساعدة وغيرهما، لذلك فان حرمة الجوار كانت عظيمة في الجاهلية وقد عظمها الإسلام اكثر مما كانت عليه [٢].

وتتلخص حقوق الجار في النقاط الآتية:

١- كف الأذى عنه.

٢- حمايته من الخطر والاذى.

٣- معاونته: وكلما كان قريبا لزمك حمايته ومعاونته أكثر.

٤- اخباره بما جهل به.

٥- الصبر على اذاه بالقدر الممكن.

٦- غض البصر عن عيوبه[٣].

ومن كمال إيمان المسلم رعايته المتواصلة لجارة وكف الأذى عنه، كما قال رسول الله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره)[٤] .

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦٠ . انظر: تفسير القرطبي ٥/ ١٧٥. فتح القدير ١/ ٦٩٤.

(٢) (ا (انظر: إحياء علوم الدين: الغزالي ٢/ ٢١٢ . الجامع لأحكام القرآن: ابن العربي ١/ ٥٤٦.

(٣) انظر: إصلاح المجتمع ص١٧٣. الآداب الشرعية ٢/ ١٨.

(٤) صحيح البخاري: رقم الحديث ٥٦٧٢ .

أهم مظاهر حسن الجوار:

١- النظر في العواقب الحسنة في حسن الجوار.

٢- تحذير المسلم في عواقب الإساءة إلى الجار.

٣- التهادي بين الجيران والاطعام.

٤- قبول العذر والعفو عن الزلات.

٥- تجنب الاكثار من الهزل والمزاح.

٦- تجنب الاحتقار.

٧- تجنب الجدال الشديد والشدة في الكلام [١].

٦- حقوق الجار في القرآن والسُنة:

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّـهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [٢].

بعد ما أمرنا بعبادته تعالى وعدم الشرك بربوبيته عندئذ أمرنا بالإحسان للوالدين واليتامى والمساكين، ثم أمرنا برعاية الجار، حيث روي ان الرسول الأكرم ﷺ قال: (الجيران ثلاثة: جار له ثلاثة حقوق: حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام، وجار له حقان: حق الجوار وحق الإسلام، وجار له حق الجوار، وهو إذا كان من غير

(١) انظر: الآداب الشرعية ٢/ ١٨ وما بعدها. الجامع لأحكام القرآن ١/ ٥٤٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٦ .

المسلمين)[١]. وقال ﷺ ايضا: (لقد أوصاني الله تعالى بالجار حتى ظننت انه سيورثه[٢].

وجاء عن الامام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: (وأما حق جارك فأحفظه غائبا وأكرمه شاهدا، وانصره إذا كان مظلوما، ولا تتبع له عورة، فأن علمت عليه مصيبة إحزن لحزنه، ولا تستطيل عليه ببناء سكنه فتؤذيه بإشرافك عليه، وسدك منافذ الريح عنه، وان اهدى الى منزلك طرفه اهدى له منها إذا علمت انه ليس عنده مثلها، أو فلتسترها عنه وعياله ان شحت نفسك بها) ثم قال عليه السلام: (اسمعوا ما أقول لكم لم يؤد حق الجار إلا القليل)[٣].

(١) بحار الأنوار ٧٤/ ٦ .

(٢) مستدرك الوسائل ٨/ ٤٢٣ .

(٣) شرح رسالة الحقوق: القبانجي ٢/ ١٦٩ .

ومن سيرة الامام زين العابدين عليه السلام مع جاره يُذكر ان هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد كان واليا على المدينة لعبد الملك بن مروان، وقد أساء جوار الإمام ولحق منه أذى، فلما مات عبد الملك عزله الوليد بن عبد الملك مما أوقفه الناس لكي يقتصوا منه، فقال: والله اني لا أخاف إلا من علي بن الحسين، ولكن مر عليه الامام عليه السلام وسلم عليه وأمر خاصته أن لا يتعرض له أحد بسوء، وارسل له: ان كان أعجزك مال تؤخذ به فعندنا مال ما يسعك ويسد حاجتك فطب نفسا منا ومن كان من يطيعنا، فقال له هشام بن اسماعيل: الله أعلم حيث يجعل رسالته[1].

وكان الامام عليه السلام يدعو لجيرانه خالص الدعاء، حيث جاء عنه: (اللهم تولني في جيراني بإقامة سُنتك والأخذ بمحاسن أدبك في أرفاق ضعيفهم وسد خلتهم وتعهد قادمهم وعيادة مريضهم وهداية مسترشدهم وكتمان اسرارهم وستر عوراتهم ونصرة مظلومهم وحُسن مواساتهم بالماعون والعود عليهم بالجد والفضل واعطاء ما يجب لهم قبل السؤال ... يا أرحم الراحمين)[2].

ومما يؤسف اليه حيث اصاب علاقة الجيران في عصرنا ابشع الأذى والتردي بسبب تطور المجتمع التكنولوجي دون تطوره الاخلاقي، حيث وصلت العلاقة في بعض الاحيان الى القطيعة بين الجيران، بل وصلت الى الشجار والتباغض والعدوان، ويموت الكثير من الناس أو يصاب بمرض دون ان يعلم به جاره، او انه يعلم ولكن لا تجده الى جانبه في المحن والمصائب .

---

(١) سيرة الأئمة الاثنا عشر: هاشم معروف الحسني، القسم الثاني / ١٤٩.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة ص١٣٢ دعاء ٢٦ ط١، تحقيق: مؤسسة الامام المهدي (عجل الله فرجه).

الفصل الثاني

الاخلاق المتقابلة
بين الأفراد والجماعات

المبحث الأول

المحبة المتقابلة بين الأفراد والجماعات

لقد خصصنا لهذا الموضوع (الأخلاق المتقابلة) فصلا منفصلا، لأنه نمط خاص من الأخلاق يتكون عند الانسان نتيجة مقابلة فعل اخلاقي معين من انسان آخر، وبغض النظر سواء كانت الصفة المتقابلة ايجابية أم سلبية، كمحبة انسان لآخر فيقابله الآخر بمحبة مقابلة، أو مقابلة انسان لآخر بتعاون فيقابله الآخر بتعاون ايضا، أو بغض إنسان مع آخر فيقابله الآخر ببغض وحقد وهكذا.

وان عموم منشأ العلاقات الاجتماعية بين الأفراد تكون على اساس التقابل والتبادل، وقد تبدأ هذه الصفة بين الأفراد ثم تصبح تدريجيا صفة اجتماعية عامة بين معظم افراد المجتمع الواحد، ومثلما تكون بين افراد المجتمع الواحد كذلك تكون بين الدول والشعوب والجماعات، فتشكل نواة الاحترام المتبادل بين تلك الشعوب والدول، أو العداء بسبب مقابلة المثل، وهكذا... هذه هي القاعدة العامة ولكن لكل قاعة شواذ، ويتضمن هذا المبحث على المطالب الآتية :

المطلب الأول
تعريف المحبة وماهيتها

ويتضمن هذا المطلب على فقرتين هما:

تعريف المحبة:

المحبة لغة: الحبُ هو نقيض البغض، وأصل هذه المادة يدل على اللزوم والثبات، واشتقاقه من أحبه إذا لزمه، تقول : احببت الشيء فأنه محب وهو محب[1].

واصطلاحا: هي الميل الى الشيء السار، وتعلق القلب به، وما تراه وتضنه خيرا ولا تبغضه[2].

ومن الناحية الواقعية فان محبة الإنسان للآخر لا تأتي إلا بعوامل تدعو هذا الطرف لمحبة الطرف الآخر سناتي عليها.

أما ماهيتها فهي من اساسيات الفطرة الإنسانية ان الإنسان يحب الآخر على أساس المنفعة، سواء أكانت تلك المنفعة مشروعة أم غير مشروعة، وكذلك المحبة التي تنشأ بين الشعوب والحكومات حيث تأتي على أساس المنفعة، لهذا وضع الإسلام ضابطا

---

(١) انظر: تهذيب اللغة: الأزهري ٤/ ٨ . مقاييس اللغة: ابن فارس ٢/ ٢٦. لسان العرب : ابن منظور ١/ ٢٩٠ .

(٢) انظر: المعجم الوسيط ص١٥١ . الذريعة الى مكارم الشريعة ص٢٥٦ .

لهذه المحبة المتقابلة ألا وهو محبة الطرفين في الله تعالى، أي يحب الإنسان الآخر ليس على أساس منفعة متأرجحة وانما على أساس ثابت وهو محبة الإنسان للآخر على أساس محبته لله تعالى، ونتيجة هذه المحبة هي منفعة الجميع في الدنيا والاخرة، كما انها ضامنة في تشكيل حب متقابل بين الأفراد والجماعات والحكومات على أساس العمل المشترك والود بين جميع الاطراف، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾[١].

ومحبة الانسان لربه تعني طاعته، وطاعته تعني محبة رسوله وأهل بيته عليهم السلام وجميع الصالحين والمؤمنين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّـهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّـهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّـهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٣].

وتأسيسا على ذلك فان محبة الفرد اتجاه الآخر ومحبة الشعوب مع بعضها والحكومات كلها تكون على أساس مدى ايمانهم بروح الإسلام، ومقاصده ومدى قدرتهم على تطبيق أحكامه بصدق واخلاص[٤].

---

(١) سورة مريم: الآية ٩٦ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٣) سورة التوبة: الآية ٢٤ .

(٤) انظر: الذريعة الى مكارم الشريعة ص٢٥٧ .

وعلى الرغم من جميل ما ذكرناه ولكن عندما يقرأ القارئ الكريم ذلك قد يجد فيه الكثير من المبالغة، حيث لا يمكن أن يرفع الإنسان البغض من قلبه لمن أساء إليه، وهذا صحيح وهو السائد في مجتمعاتنا خاصة، ولكن عندما نتدبر سيرة الرسول الأكرم واهل بيته الاطهار عليهم السلام وجميع الصالحين نجدهم حبوا جميع الناس حتى انهم ارادوا الخير لمن أساء اليهم، بهدف الأجر والمثوبة والاصلاح والحفاظ على روح الإسلام، وليس بقصد الجبن والخوف، او الظفر بمنفعة شخصية او دنيوية زائلة، وانما بقصد مرضاة الله تعالى، لأنهم اعتبروا الصفح والمسامحة والعفو من أعظم الطاعات والعبادات .

ومن امثلة ذلك ما وقع مع الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام الذي شتمه رجل وكان الامام لم يرد عليه، بل تبعه الامام عليه السلام الى بيته وقال له: (يا اخي انك كنت قد وقفت عليّ آنفا فقلت وقلت ... فان كنت قلت ما فيّ فاستغفر الله تعالى منه، وان كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله تعالى لك) ثم قبّل الامام الرجل بين عينيه، وإذا بالرجل يقدم للإمام أعظم الاعتذار، ويطلب منه العفو والسماح، وقال: بل قلتُ فيك ما ليس فيك وأنا أحق به، وهذا من اروع الشواهد بخصوص تأثير الأخلاق المتقابلة[1].

وخلاصة القول لو عرّفنا المحبة بالعديد من الآراء والتعريفات بغية الوصول الى ماهيتها وتطبيقاتها لم نصل الى معناها الواضح مثلما اوضح لفظ المحبة نفسه على مفهومها، فليس هناك أدق من تعريفها بـ (المحبة) كالعلم الذي عرّفوه بعدة تعريفات، ولكن أقرب المعاني اليه هو العلم نفسه، لأن لفظة المحبة قد سرت في الفاظ الناس وافهامهم واستخدامهم لها من حيث اللفظ والتطبيق، وان التجربة البشرية الشائعة هي مقابلة المحبة بمثلها والبغض بمثله.

(١) الارشاد ٢/ ص١٤٥ و١٤٦.

المطلب الثاني
أهمية المحبة اعتقاديا واجتماعيا

لقد ذكرنا بأن هذا الصنف من الأخلاق هو من صنف الأخلاق المتقابلة بين طرفين او أكثر، لهذا يظهر لنا صنفان من المحبة هما: الصنف الاول المحبة على أساس الاعتقاد الديني والإنساني، والصنف الثاني المحبة على اساس الجانب الاجتماعي.

المحبة على أساس الاعتقاد الديني والإنساني :

وهي محبة الانسان للآخر على أساس انه مؤمن بالله تعالى كإيمانه الذي يؤمن به، فتظهر هذه المحبة بين الأفراد المؤمنين خاصة، وسمة ذلك الإيمان محبة العبد لربه سبحانه المتمثلة بالطاعة والامتثال، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (١).

ومن لوازم محبة الخالق سبحانه محبة الرسول الأكرم ﷺ فلا تكتمل طاعة الله تعالى إلا بطاعته، ولابد أن تكون هذه الطاعة مقترنة بحبه ﷺ فلا يمكن ان يطيع الانسان شخصا ويمتثل لأمره ما لم يحبه، وهذا ينطبق على محبة أهل البيت عليهم السلام وغيرهم.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١ .

كما جعل سبحانه وتعالى طاعته وطاعة رسوله ﷺ شرطا للرحمة، والرحمة هي أحد وجوه الحب من الراحم، فلا يرحم الله تعالى عباده إلا بعد حبهم وطاعتهم له تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّـهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّـهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّـهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّـهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّـهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ: (أوثق عرى الإيمان الحب والبغض في الله تعالى)[٣].

وقال الامام الحسين بن علي عليه السلام: (من أحبنا للدنيا فان صاحب الدنيا يحبه البر والفاجر، ومن أحبنا لله تعالى كنا نحن وهو يوم القيامة كهاتين وفرّق بين سبابتيه)[٤].

ومن دلائل محبة الله تعالى للإنسان ورحمته ان خلقه سبحانه بأحسن تقويم، وسخر له ما في السموات والارض، ثم جعله خليفته على أرضه، وكرّمه بأحسن تكريم، وفضلّه على كثير من مخلوقاته، وانعم عليه هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٥].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٢ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٦٥.

(٣) الكافي ٢/ ١٢٥ . كنز العمال ٤٣/ ١٠٥ .

(٤) المعجم الكبير: الطبراني ٣/ ١٤٣ .

(٥)سورة الاسراء : الآية ٧٠ .

ونتيجة لهذه المحبة والرحمة التي رحم الله تعالى عباده بها ينبغي أن يقابله العباد بالطاعة والامتثال، ومن أعظم وجوه الطاعة والامتثال محبة الإنسان لأخية الأنسان، ومحبة الشعوب والحكومات على إقامة خير البلاد والعباد، حيث جاء في الحديث الشريف المشهور (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يُحب لنفسه) لأن المحبة تفقد معناها إذا لم تقترن بالعمل الصالح من الناحيتين القلبية والفعلية[١].

لذلك اسس الإسلام في ضمير الإنسان المحبة ليقابل بها الآخرين بغية مقابلة الآخرين بها.

المحبة على اساس الجانب الاجتماعي:

والمراد من ذلك ان تتخذ المحبة نسَقا اجتماعيا بين الناس على أساس التقابل والتبادل بين الجميع، وان تشكل أساس العلاقات الاجتماعية بين البشر، وبنائها على رابطة الإيمان، واتخاذ الايمان أقوى من رابطة الدم والنسب.

ومن ادلة ذلك في مجال العلاقات الزوجية وتقابل المحبة بين الزوجين ما روي بأن رجلا جاء لرسول الله ﷺ وقال له: يا رسول الله ان لي زوجة إذا دخلتُ تلقتني، وإذا خرجتُ شيعتني، وإذا رأتني مهموما قالت لي : ما يهمك ؟ ان كنت لرزقك فقد تكفل به غيرك، وان كنت تهتم بأمر آخرتك فزادك الله تعالى به هما، فقال رسول الله ﷺ: (بشرها بالجنة وقل لها انك عاملة من عمال الله سبحانه)[٢].

---

(١) انظر: الأخلاق الولائية من محضر الامام السيد الخامنئي: ص٧٢ مركز الامام الخميني للدراسات الإسلامية، طباعة ونشر منظمة الاعلام الإسلامي ١٣٧٦هـ.

(٢) مكارم الأخلاق ١/ ٢٢٩ .

وإذا اعتاد الإنسان على حبه للآخرين فأنه سيتخلص من أخطر الأمراض النفسية التي تسبب الكآبة والانعزال والمبالغة في فقدان الثقة بالجميع، وإذا تدبرنا هذه الحالة جيدا لوجدناها هي التي تشكل أساس ازمة مجتمعنا الإسلامي على وجه الخصوص، وظاهرة الخلافات والاختلافات في المجتمع الإسلامي واضحة لا تحتاج الى كثير من الحديث.

وهذه طائفة من الآيات الكريمة التي تثبت أهمية ارتباط الايمان والمحبة في تعزيز الاواصر النفسية والاجتماعية، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّـهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّـهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّـهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٣).

وورد عن الامام زين العابدين عليه السلام قال: (إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين قام منادي ينادي يُسمع الناس فيقول: (أين المتحابون في الله تعالى ... ؟ فيقوم الناس فيُقال لهم: اذهبوا الى الجنة ...)(٤).

هذا ما توفقنا اليه في هذا المطلب في بيان أهمية المحبة من الناحيتين الاعتقادية والاجتماعية، وما لهما من دور كبير في تثبيت العقيدة وتعزيز المحبة والانسجام والاخلاص بين الناس.

التكبر على المتكبر تواضع

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٨ .

(٢) سورة يونس: الآية ٦٢ .

(٣) سورة الزخرف: الآية ٦٨ .

(٤) اصول الكافي ٢/ ١٢٦ باب الحب في الله تعالى .

المبحث الثاني
التعاون المشترك

ويتضمن على مطلبين هما:

المطلب الأول
تعريف التعاون وماهيته

التعاون لغة: الظّهيرة على الأمر والاعانة على الشيء أي: ساعدهُ واستعان فلان فلانا وبه طلب العون، وتعاون القوم: أعان بعضهم بعضا، والمعوان: هو حسن المعونة للناس[1].

وتأتي كلمة تعاون بموقع الفعل والاسم، فالفعل تعاون كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّـهَ ۖ إِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [2].

أما الاسم فهو مصدر تَعاوَنَ والمراد منه التآزر، أي: مساعدة بعضهم لبعض، كقولك: أظهروا روح التعاون، وكذلك تعاون سكان القرية أي ساعد بعضهم بعضا [3].

---

(١) انظر: لسان العرب ١٣/ ٢٩٨ . مختار الصحاح ص٢٢٢ . المعجم الوسيط ٢/ ٦٣٨. تاج العروس ٣٥/ ٤٣١ .

(٢) سورة المائدة: الآية ٢ .

(٣) انظر: لسان العرب ٣/ ٢٩٨ وما بعدها .

والتعاون اصطلاحا: هو المساعدة على الحق ابتغاء الأجر من الله تعالى أو من غيره، لهذا يُقسم التعاون على أربعة أقسام هي:

الاول ـ يعين ولا يستعين: وهو الله تعالى، لأنه سبحانه يُعين مخلوقاته ولا يحتاج لمعونة أحد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّـهِ ۖ وَاللَّـهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١).

الثاني ـ لا يعين ولا يستعين: وهذا لا ينطبق على أحد من البشر، لأن كل إنسان يحتاج لمعونة غيره.

الثالث ـ يستعين ولا يعين: وهو الذي يطلبُ من الناس العون ولكنه لا يقابلهم بمعونته.

الرابع ـ يعين ويستعين: وهو الإنسان الذي أراده الإسلام كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّـهَ ۖ إِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٢).

فلا يمكن أن تستقيم الحياة إذا لم يتعاون الجميع مع الجميع على انجاز أعمال البر والتقوى وازالة الاثم والعدوان، ولا يمكن انجاز أي عمل كبير إلا بالتعاون.

وإذا نظرنا الى الأشياء التي حولنا لوجدنا اعدادا هائلة من البشر تعاونوا على انجازها لخدمتنا، فالملابس التي نرتديها مثلا تعاون المئات على انجازها بهذه الصورة الجميلة التي وصلت الينا، فلا يمكن شعور الإنسان بالقوة أمام اعدائه إلا من خلال التعاون مع الآخرين لدرء الأذى وحماية النفس والمال والدين والعرض، فالتعاون

---

(١) سورة فاطر : الآية ١٥ . انظر: موسوعة الأخلاق: خالد الخراز ص٤٤١ .

(٢) سورة المائدة: الآية ٢ .

هو دليل التآلف والانسجام بين الناس، لذلك جعل الله تعالى التعاون من الغرائز الإنسانية، فلا يمكن للفرد وحده أن يواجه كل أعباء الحياة ومتاعبها.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

المطلب الثاني
التعاون في القرآن والسُنّة

أكثر ما جاءت نصوص القرآن الكريم بالخطاب الجماعي، حيث وردت (يا أيها الذين آمنوا) ٨٩ مرة، و(يا أيها الناس) (٢٠) مرة، و(بني آدم) خمس مرات، وهذا فيه دلالة على اهمية الاجتماع والتعاون والتكامل، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّـهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٢).

وجاءت السُنة الشريفة تدعو الى قيم التعاون والاحسان في جميع المجالات التي تؤدي الى الصلاح، قال رسول الله ﷺ: (من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله) ويروى ان اسحاق بن عمار سمع الامام الصادق عليه السلام يقول: (يأتي على الناس زمان من سأل الناس عاش ومن سكت مات) قلتُ: فما اصنع ان ادركتُ ذلك الزمان ؟ قال: (تعينهم بما عندك فان لم تجد فبجاهك) (٣).

---

(١) سورة العصر: الآيات ١ – ٣ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣ .

(٣) الكافي ١/ ٤٦ باب النوادر من كتاب الزكاة .

وعندما انتشرت الظواهر السيئة في مجتمعنا سببت كوارث لا يمكن أن ينساها التاريخ كان سببها عدم تعاون الناس لمن أذله الدهر، وعدم مساعدة العالم حتى يعمل بعلمه، لأن الازدهار لا يتحقق إلا من خلال العلم، فاذا تحكم الجهلاء بالعلماء سقط المجتمع وتردى، لذلك قال الامام الصادق عليه السلام: (اني لأرحم ثلاثة وحق لهم أن يرحموا: عزيز أصابته مذلة، وغني أصابته حاجة بعد الغنى، وعالم يستخف به اهله)[١].

ومما تجدر الاشارة اليه ان الانسان دون ان يعاونه الاخرون كل حسب خبرته واختصاصه لا يقدر على انجاز أي شيء، وكما يُقال: القليل الى القليل يكون كثيرا، والضعيف إذا ساند الضعيف يقوى، فالحياة الاجتماعية ما هي إلا تعاون بين أفراد المجتمع، بغية توفير حاجياته المادية والنفسية، وتوفير الطمأنينة والاستقرار[٢].

وان التعاون بين افراد المجتمع يؤسس في النفوس الطمأنينة والاستقرار ويزيل ظاهرة التفاخر المزعج نتيجة الفوارق المادية والشخصية بين افراد المجتمع، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في مواضع متعددة منها: قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّـهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[٣].

(١) من لا يحضره الفقيه ٤/ ٣٩٤ . الخصال: الشيخ الصدوق ١٨/ ٨٧.

(٢) انظر: التكامل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام: عباس ذهيبات ص٢٢ .

(٣) سورة النساء: الآية ٣٦ .

وقد جاء بر الوالدين في أكثر من موضع في القرآن الكريم لأنه من بين أهم مظاهر تعاون الاولاد مع والديهما، بغية تكوين الحياة الهادئة المستقرة، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[٢].

أما الأحاديث بهذا الخصوص فجاءت مستفيضة كلها تؤكد ما أقره القرآن الكريم منها: قول الرسول الأكرم ﷺ: (نظر الولد الى والديه حبا لهما عبادة) [٣].

وقد سُئل الإمام الصادق عليه السلام أي الاعمال افضل ؟ فقال عليه السلام: (الصلاة لوقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله تعالى)[٤].

وقال الامام الرضا عليه السلام: (ان الله عز وجل أمر بالشكر له وبالوالدين فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله تعالى)[٥].

وقال عليه السلام ايضا: (بر الوالدين وان كانا مشركين فلا طاعة لهما في معصية الخالق)[٦].

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٨ .
(٢) سورة الاسراء: الآية ٢٣ و٢٤ .
(٣) بحار الأنوار ٧٤/ ٨٠ .
(٤) المصدر نفسه ٧٤/ ٨٥.
(٥) المصدر نفسه ٧٤/ ٧٧.
(٦) تفسير الصافي ٢/ ٣٧.

كذلك الصلة بين الأقارب والمساعدة والتعاون فيما بينهم تُعد من القيم الأخلاقية وأهم وجوه التعاون المتقابلة التي أكد عليها الإسلام، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّـهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١).

وقد جاء في احدى خطب الامام علي بن ابي طالب عليه السلام أوضح البيان في اهمية تعاون الأقارب، فقال: (أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء) فقام اليه عبد الله بن الكواء قال له يا أمير المؤمنين أتكون ذنوب تعجل الفناء ؟ فقال عليه السلام: (نعم وتلك قطيعة الرحم، ان اهل البيت يجتمعون ويـتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله تعالى، وان اهل البيت ليتفرقوا ويقطع بعضهم بعضا فيَحرِمَهم الله تعالى وهم اتقياء) (٢).

ان معظم البلاء الذي يقع على الكثيرين والذي لا يعرف الناس اسبابه هو بسبب قطع الرحم وعدم التعاون فيما بينهم، وهذا يحدث مع الكثير من الناس وفي كل زمان ومكان، وقد وقع في زمن الامام الصادق عليه السلام حيث جاءه رجل فقال له: ان اخوتي وبني عمي قد ضيقوا عليّ الدار والجئوني الى تركها الى دار اخرى، فقال له الامام عليه السلام: (اصبر لأن الله تعالى سيجعل لك فرجا) فأنصرف وبعد فترة وجيزة وقع الوباء في سنة احدى وثلاثون ومائة فماتوا كلهم، وما بقي منهم أحد، فقال الامام:(صنعوا بك وبعقوقهم وقطع رحمهم بُتروا) (٣).

---

(١) سورة النساء: الآية ١.

(٢) الذنوب الكبيرة: وستغيب ١/ ١٦٤ .

(٣) بحار الأنوار ١/ ١٦٤ .

لهذا أكد الإسلام على جميع وجوه التعاون بين الناس بغية انجاز اعمال البر والتقوى، وكل ما فيه نفع وفائدة للإنسان في دنياه وآخرته، وقد تكرر التعاون كثيرا في الفكر الإسلامي، وأن الإسلام حث المسلمين على التعاون مقابل مرضاة الله تعالى وثوابه، بينما جعلت الفلسفات المادية الالحادية للتعاون مقابلا ماديا يتقاضاه المتعاون على قدر تعاونه.

استغفر الله ربي

المبحث الثالث

الاختلاط مع الناس والتواضع وحُسن الخلق والحلم

ويتضمن هذا المبحث على ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول

الاختلاط مع الناس

الاختلاط لغة: يقال خلط الشيء بالشيء أي: مازجه، وخالط الشي أي: مازجهُ مع بعضه [1].

وهذا المعنى جاء بقوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّـهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

ومعنى ذلك انهم خلطوا العمل الصالح بالعمل السيء، وقال تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [3].

---

(١) انظر: لسان العرب ٧/ ٢٩١ مادة (خلطَ) . المصباح المنير ١/ ١٧٧ .

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٢ .

(٣) سورة ص: الآية ٢٤ .

والذي اراه ان الاختلاط: هو التداخل والتقارب والتجاور، وعليه فانه قد يقع بالتقارب أو التجاور أو ضم الشيء الى بعضه أو ضمه لغيره، أو التداخل بين الأشياء، وقد تكون معه ممازجة أو ملاصقة، وقد لا تكون، فالتخالط أعم من الممازجة والالتصاق.

والاختلاط اصطلاحا: لا يختلف كثيرا عن المعنى اللغوي المذكور، حيث جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾[١].

ومعنى قوله تعالى ﴿تُخَالِطُوهُمْ﴾ أي: اخلطوا طعامكم بطعامهم وشرابكم بشرابهم، ولا تنعزلوا عنهم بسبب تكبركم، وما دام هم شركائكم في الحياة لذلك كونوا شركاء لهم في الطعام والشراب وغيرهما[٢].

وقد قسم الفقهاء الاختلاط على مستحب ومكروه ومحرم، بوصفهم ان بعض الاختلاط يؤدي الى الوقوع بجرائم اخلاقية كثيرة، وهي أما محرمة وأما مكروهة على وفق ما تؤدي اليه من مخاطر اخلاقية سيئة، أما الاختلاط المستحب والمباح فهو الاختلاط لأجل المنافع كالتعليم والتشاور والتباحث والتعاون في العمل وغيرها، فكل هذه الاصناف من الاختلاط مشروعة إذ كانت في حدود الأدب، بشرط أن لا يوجد نص شرعي صحيح يخالفها[٣].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢.

(٢) الموسوعة الفقهية ١٩/ ٢٢٣ .

(٣) عودة الحجاب: محمد بن احمد اسماعيل المقدم ٣/ ٢٥. التبرج: عكاشة الطيب ص٦٨. تحريم الاختلاط والرد على من اباحه: الدكتور عبد العزيز بن احمد البداح تقديم الدكتور صالح بن فوزان الفوزان ص٩.

ويمكن معرفة سمة جواز الاختلاط من عدم جوازه من خلال قصد وهدف كل من الطرفين، لأن هذا الصنف من الاختلاط يعد من قبيل صفات الأخلاق المتبادلة، فإذا كان دافع الاختلاط من المتخالطين يمثل أحد وجوه التعاون المشروع فهو المندوب، وإذا كان دافعه الرذيلة أو العبث أو اللهو فهو محرم أو مكروه، ومن وجوه الاختلاط المشروع التعاون على انجاز البر والتقوى كالأعمال التي فيها منفعة مشروعة، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّـهَ ۖ إِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١).

وإذا كان الاختلاط لغاية تؤدي الى المحرم فهذا الصنف من الاختلاط هو محرم ايضا، بخلاف الاختلاط المشروع الذي يؤدي الى غاية شرعية، كالاختلاط في الحج، والمندوب كالحضور الى صلاة الجمعة والجماعة والمناسبات المشروعة الاخرى، والمباح كزيارة الاقارب والمعارف، لأن طبيعة الإنسان مدنية، فلا يمكن ان تستقيم حياته إلا بالاختلاط مع الاخرين، بل يُعد الاختلاط بين الامم والشعوب لأجل التعارف والتعاون من غايات الخلق الاساسية التي خلق الله سبحانه الخلق من اجلها، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّـهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾(٣).

(١) سورة المائدة: الآية ٢.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٤٨.

وقد ضرب لنا الرسول الأكرم ﷺ أروع الأمثلة في موضوع تخالطه مع الناس، سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها، فحبَ قومه واحبوه ايضا، لأن الرسول الاكرم ﷺ استخدم التدرج في تربية الناس وتعليمهم أحكام الدين، وعلمهم كيفية تطبيقها على ايسر الوجوه وأصحها، فلم يقفز بهم في خصوص تعليم الاخلاق الفاضلة قفزة واحدة، بل رباهم بصورة متدرجة ومنظمة، بغية بناء الأخلاق في الانسان بناء ثابتا لتكون صفة الأخلاق الفاضلة فيهم بمثابة العادات والتقاليد الملازمة لشخصيتهم وقد علمهم ودربهم رسول الله ﷺ صفة الحوار والإقناع بدون تعنيف ولا زجر، فكان ﷺ أعظم مُربٍّ وداع يدعو قومه بالحكمة والموعظة الحسنة ولا يجادلهم إلا بالتي هي أحسن، كما أمره ربه سبحانه في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١).

لهذا كانت حركة المجتمع الإسلامي في عهد رسول الله ﷺ حركة مجتمعية منسقة، كالجسم الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فلم يكن الفرد المسلم منعزلا عن الآخرين لأهمية المخالطة التي كانت بينهم مع التزامهم بالحفاظ على حقوق الإنسان، كحريته في مسكنه ومعتقده وماله وأهله الى ما غير ذلك من الحقوق العامة والخاصة، وقد تحقق كل ذلك بسبب عظمة شخصية الرسول الأكرم ﷺ مع قومه، فكان ﷺ أعظم داعية ومربي في التاريخ، حيث قال يوما لأصحابه: (أتدرون من المفلس؟) قالوا: يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال ﷺ: (المفلس من امتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، وقد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥ .

من حسناته، وهذا من حسناته، فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، فطُرح في النار)[١].

وهكذا استطاع الرسول الأكرم ﷺ ان يثبّت ظاهرة اختلاطه مع قومه من ناحية، ويعزز اختلاط قومه بعضهم مع البعض الاخر من ناحية اخرى، فكان ﷺ يؤكد لهم الصبر اتجاه تصرفات بعض الناس المزعجين حتى لا ينفرط عرى الاختلاط فيما بينهم، حيث قال ﷺ: (المؤمن يخالط الناس ويصبر على اذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم)[٢].

وهذا ما نجده في واقعنا المعاصر حيث ان قوام ديمومة الاختلاط لا تستمر إلا ومعها صبر وثبات، لأن الناس معادن وبعضهم لا تطاق معاشرته بخلاف البعض الاخر الذي يفرض محبته وصداقته على الاخرين بصورة طوعية، وعلى الرغم من كل ذلك إلا ان الرسول الأكرم ﷺ كان يوصيهم بالصبر على مخالطة الناس ومعاشرتهم، فقال: ﷺ لرجل انعزل في جبل يتعبد به، وقد ترك معاشرة الناس لعدم صبره على مخالطتهم: (لصبر أحدكم ساعة على ما يكره في بعض مواطن الإسلام خير من عبادته اربعين ليلة)[٣].

لهذا صار الأصدقاء اصناف فمنهم من تصادقه وتضعه قريب اليك لقربه منك، لأن صفاته هي نفس صفاتك أو متقاربة منها، ومنهم من تصادقه وتجعله صديقا لك في حدود صداقة محدودة وضيقة، لهذا ينبغي أن يعرف الإنسان حجم صداقته مع اصحابه على اساس نوع الصداقة وهدفها، فيقابله بمثلها، ولذلك كان يطلق امير

(١) انظر: صحيح مسلم: رقم الحديث (٢٥٨١).
(٢) انظر: ميزان الحكمة ٣/ ١١٦٦ .
(٣) انظر: المصدر نفسه ٣/ ١١٧.

المؤمنين عليهم السلام على هؤلاء بـ (اخوان المعاشرة) وهم الذين لا تربطك بهم الثقة الكبيرة، وانما هم اصدقاء في حدود معينة، كمعاملات البيع والشراء والعمل المشترك وغيرها.

وبعضهم مثلا تعرفه معرفة سطحية لأنك تراه في مكان عام أو خاص، وليس لك معه إلا السلام، فمثل هؤلاء يمكن تعزيز وتطوير صداقتك معهم في حدود مقابلة صداقاتهم معك، فلا يصح أن تلقي اليهم اسرارك الخاصة، ولا تطلب منهم أكثر من مقدار صداقتهم معك، وصدق الشاعر عندما قال:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الردى فتردى مع الردى[1].

وفي ضوء ما تقدم يتضح لنا بأن الاختلاط بين افراد المجتمع بكافة اصنافه ضرورة لا يمكن التخلي عنها، وهذا التصدع الاجتماعي الذي نراه اليوم في بعض شرائح مجتمعنا سببه ضمور الاختلاط بين افراد المجتمع مما صار الفرد اتجاه الاخر موضع ريب وخيفة.

ضمور الاختلاط الاجتماعي بين الناس.

ومن بين أهم فوائد الاختلاط الأخرى استطاعة الشباب والفتيات التعرف على بعضهم بقصد الزواج، وان يعرف احدهم الاخر من خلال اسرهم واقاربهم حتى تكون معرفة الشابين مع بعضهم مشروعة وشريفة وشاملة.

كما يُعرّف الاختلاط المتخالطين بما يدور في المجتمع من احداث ينبغي ان يعرفها كل انسان، أما للحذر أو للعبرة والعظة الى ما غير ذلك من احداث ينبغي معرفتها.

(١) انظر: بحار الأنوار ٧٤/ ١٩٢ . غرر الحكم ص٤٢٩ . نبيه الخواطر ٢/ ١١٠.

وقد اثبت علماء النفس بأن العزلة تسبب امراضا نفسية مروعة تصل الى درجة بالغة الخطورة، وعندئذ يكون الانسان المنعزل خائفا من افراد المجتمع، متجنبا الاختلاط لأنه يعاني من الشكوك والقلق العارمين والخجل المفرط، وتنتابه حالات نفسية من الشكوك والوهم بان الاخرين يتابعونه ويراقبونه وغيرها من الاوهام الاخرى، وقد يتصور مع نفسه انه فيه عيوب واخطاء فادحة، ويشتد هذا الخوف لدرجة انه يعوق اكماله الدراسة ومواصلة نشاطاته الاخرى، كما يؤثر في الفرد الى حالات مرضية وخيمة ما لا تحمد عقباها.

وختاما نقول: إذا ترك المجتمع الاختلاط مع بعضه عندئذ يتكون لدينا مجتمعا تسوده الامراض النفسية واليأس والانطواء والانحسار في كافة مجالات الحياة..

وَإِذَا أُصِيبَ القَوْمُ فِي أَخْلاقِهِمْ فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَماً وَعَوِيلاَ

المطلب الثاني
التـــــواضع

التواضع لغة: التذلل، يُقَال: وضَعَ فُلانٌ نَفْسَهُ وضْعًا، ووُضُوعًا بالضَّم، وَضَعَةً، بالفَتْحِ: أي أذلَّها. وتَوَاضَعَ الرَّجُلُ: إذا تَذَلَّلَ [1].

واصطلاحا: التَّواضُع هو: (ترك التَّرؤس، وإظهار الخمول، وكراهية التَّعظيم، والزِّيادة في الإكرام، وأن يتجنَّب الإنسان المباهاة بما فيه مِن الفضائل، والمفاخرة بالجاه والمال، وأن يتحرَّز مِن الإعجاب والكِبْر) وقيل هو: (رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقُّه فضله ومنزلته، وهو وسطٌ بين الكِبْر والضِّعَة، فالضِّعَة: وضع الإنسان نفسه مكانًا يزري به بتضييع حقِّه. والكِبْر: رفع نفسه فوق قدره) وقيل هو: (إظهار التَّنزُّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم مَن فوقه فضله) فهو عدم التعالي والتكبر على أي أحد من الناس كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم، وان يحترم الانسان جميع الناس بدون استثناء، كما أمرنا الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

---

(١) انظر: العين: الفراهيدي ٢/ ١٩٦ . تاج العروس: الزبيدي ٢٢/ ٣٤٣ .

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٥ . انظر: تهذيب الأخلاق: الجاحظ ص٢٥ .الذريعة الى مكارم الشريعة: الراغب الاصفهاني ص٢٩٩. فتح الباري: ابن حجر ١١/ ٣٤١ .

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ أَهَـٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّـهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٢).

وكانت صفة رسول الله ﷺ التواضع، فكان عنده صغير المسلمين كبيرا، ويساعد أهله بأقصى انواع المساعدة، بحيث كان يحلب الشاة بيده الكريمة ويخيط نعله ويرقع ثوبه ويأكل مع خادمه ويشتري الشيء من السوق بنفسه ويحمله بيده، وكان ﷺ كثيرا ما يبدأ مع من يلاقيه بالسلام والمصافحة، دون أن يفرّق بين احد من المسلمين، وعند فتح مكة المكرمة وقد انتصر بفتحها انتصارا عظيما، ولكنه دخلها خافضا رأسه تواضعا لله تعالى، ثم سامح أهلها وعفا عنهم، وقال لهم قولته المشهورة (اذهبوا فانتم الطلقاء) (٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (أشرف الخلائق التواضع والحُلم ولين الجانب)(٤).

وقد أعد الامام الصادق عليه السلام التواضع دليلا على كمال العقل، حيث قال: (كمال العقل في ثلاث: التواضع لله تعالى، وحُسن اليقين، والصمت إلا من خير) كذلك أعد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام التواضع من أهم العبادات، حيث انه قال:

---

(١) سورة القصص: الآية ٨٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٤٨ و٤٩ .

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٥٨ .

(٤) ميزان الحكمة ١/ ٨٠٨ .

(عليك بالتواضع فأنه من أعظم العبادة) [١].

وتأسيسا على ما تقدم يتضح لنا ان للتواضع ثلاث انواع هي:

١- **التواضع أمام الله تعالى**: وهو أن يتواضع الانسان لمعرفة دينه والالتزام به.

٢- **تواضع المسلم مع الرسول الاكرم ﷺ واهل بيته عليهم السلام**: وهو ان يلتزم المسلم بسنتهم القولية والفعلية والتقريرية، وان يحبهم بأدب ومودة، ولا يأخذ من أثرهم إلا بعد التأكد من صحة روايته .

٣- **التواضع مع الناس**: وهو ما ذكرناه من تواضع وعدم تكبر مع سائر الناس، وأن لا نخلط بين عزة النفس والتواضع، فكل صفة تختلف عن الاخرى[٢].

وينبغي على الانسان ان يقنن صفة التواضع على وفق النسق الاجتماعي السائد، بحيث لا يعد التواضع ضعفا امام التكبر، ولا يؤدي به تواضعه الى حد الاهانة والاذلال والاستخفاف والازدراء امام الاخرين.

أَفْضَلُ الذِّكْرِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّـهِ

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٧٢، ص: ١١٩.

(٢) انظر: أخلاق اهل البيت عليهم السلام: السيد مهدي الصدر ص٥ جامع السعادات ٣/ ٢٩. مكارم الأخلاق ص٣٣.

المطلب الثالث
حُسن الخُلق والحُلم

سنتناول هذا المطلب في فقرتين هما:

حُسن الخُلق: يُعد حُسن الخُلق من السلوك الأخلاقي الظاهري العام لإنسان، والذي يظهر على للأنسان بصورة ظاهرية ومنه: الكرم، وبسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى، وعدم المبالغة بالغضب، والهدوء، والوقار وغيرها[1].

ويكون حُسن الخُلق مع الله تعالى ومع الناس، أما حُسن الخلق مع الله تعالى فيكون الرضا بحكمه، وعدم الجزع عند المصائب والمحن، وان لا يعتقد الانسان بأن سبب الشقاء هو الخالق سبحانه، لأن الرب جل جلاله يريد الخير للبشر، فسخر كل مخلوقاته لسعادة البشر في الحياة الدنيا وبعدها، والظلم الذي يقع على الإنسان هو ليس من الله تعالى وانما من الأشرار فيظلم الناس بعضهم بعضا، ويسرق رزق بعضهم بعضا، وسبب انتشار الظلم والرذيلة سكوت الاخيار على ما يرتكبه الاشرار.

---

(١) انظر: اخلاق أهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٩.

حسن الخلق في القرآن والسُنّة:

من الآيات الكريمة الدالة على حُسن الخُلق قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّـهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١].

وأفضل الناس خُلقا هو رسول الله ﷺ لأن الله تعالى تولى تربيته فصار عظيم في كل صفاته ومنها الأخلاق، كما قال تعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

وجاء في السُنة الشريفة الكثير من الاحاديث والروايات جميعها تدل على اهمية حُسن الخلق، وقد صدق من قال ان غاية الإسلام هي حُسن الخلق، ومن تلك الروايات ما ورد عن رسول الله ﷺ: (عليكم بمكارم الاخلاق فان الله عز وجل بعثني بها، وان من مكارم الاخلاق ان يعفو الرجل عمن ظلمه، ويعطي من حَرَمَه، ويصل من قطعه، وان يعود من لا يعوده) [٣].

وقال ﷺ ايضا: (انما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق)[٤]

وعن الامام امير المؤمنين عليه السلام: (ثابروا على اقتناء المكارم)[٥].

وفي ضوء ما تقدم يتضح لنا بأن حُسن الخُلق هو من الصفات الأخلاقية الحسنة التي تظهر على عموم الصفات الأخلاقية للإنسان من نوايا حسنة وشمائل وافعال واقوال.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢٨.

(٢) سورة القلم: الآية ٤.

(٣) آمالي الطوسي ص٤٧٨ . ميزان الحكمة ٣/ ١٠٨١ وما بعدها .

(٤) انظر: المستدرك، رقم الحديث (٨٧٢٩) . صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٧٣).

(٥) غرر الحكم ص٤٧١٢ . ميزان الحكمة ٣/ ١٠٧٩ .

الحُلـم:

الحِلم لغة: بكسر الحاء بمعنى الأناة والعقل والتروي قبل الفعل والقول، وهو خلاف الطيش [١].

واصطلاحا: ضبط النفس عند هيجان الغضب، وقيل هو الطمأنينة عند الغضب، ويشمل المعرفة والصبر والأناة، وكذلك ما جاء في التعريف اللغوي: التروي والتدارك[٢].

وقد تكررت مادة الحلم في القرآن الكريم نحو عشرين مرة، وجاءت بعدة معان منها: الوقار والسكينة والثبات عند الغضب، وهي الصفات التي تـثـبـّت الانسان وتأخره عن الرد على في حالة الغضب، فهو حبس النفس حتى تخضع لسلطان العقل دون تسرع وطيش، قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَـٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [٣].

ومعنى (احلامهم) عقولهم، وهذا ما كان عليه أهل البيت عليهم السلام كما مر علينا من روايات بأن العقل هو سبب الحلم، وهو الذي يأمر الانسان بالتثبت والتروي والتعقل، وعدم الغضب والتهور والطيش، تلك الاسباب كانت ولم تزل سببا لبلاء الافراد والشعوب في انحاء العالم، وهذا المعنى يثبته قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عندما كان يصلي بهم ويسوي صفوفهم فيقول لهم: (اسْتَوُوا وَلا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفُ قُلُوبُكُمْ لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)[٤].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة: ابن فارس ٢/ ٩٣ .

(٢) انظر: التعريفات: الجرجاني ص٩٢ . روضة العقلاء: ابن حبان السبتي ص٢٠٨ .

(٣) سورة الطور: الآية ٣٢ .

(٤) تحفة الأحوذي بشرح الترمذي: رقم الحديث (٢٢٤٥).

وفي ختام هذا الفصل نسأل الله عز وجل أن يهدينا الى الرشاد والتعقل والرشاد وان يبعدنا شر التهور والغضب .

الفصل الثالث

نماذج من مكارم الأخلاق

المبحث الأول

الـوفـاء بـالـعـهـد

ويتضمن هذا المبحث على مطلبين هما:

المطلب الأول

تعريف الوفاء بالعهد وموقعهما في القرآن والسُنّة

سنتناول هذا المطلب في شقين هما:

الشق الأول ـ تعريف الوفاء لغة واصطلاحا.

الوفاء لغة: ضد الغدر، يقال: وفا بعهده، وأوفي بمعنى واحد، ووفى بعهده يفي وفاء، وأوفى: إذا أتم العهد ولم ينقض حفضه[1].

والوفاء اصطلاحا: هو ملازمة طريق المواساة ومحافظة عهود الخلطاء[2].

وقيل ان معنى الوفاء الصبر على ما يبذله الإنسان من نفسه، ويراهن به لسانه، والخروج مما يضمنه، وان كان مجحفا به[3].

والوفاء أعم من الصدق، فكل وفاء صدق، وليس كل صدق وفاء، لأن الوفاء

(١) انظر: لسان العرب ١٥/ ٣٩٨ .مفردات الفاظ القرآن الكريم: الاصفهاني ص٨٧٨ .
(٢) انظر: التعريفات: الجرجاني ص٢٥٣.
(٣) انظر: التوقيف على ماهيات التعاريف: المناوي ص٣٣٩ . تهذيب الأخلاق: الجاحظ ص٢٤.

يكون بالفعل والقول، ولا يكون الصدق إلا في القول، فالصدق هو نوع من انواع الوفاء، وهو في القول فقط دون الفعل [١].

وعلى كل حال فان الوفاء والصدق والعدل كلها من جنس مكارم الأخلاق، والغدر والكذب والجور كلها من جنس مساوئ الأخلاق، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [٢].

وقد تحدثنا في الفصل السابق عن الأخلاق المتقابلة، وقلنا إذا تعاون الإنسان مع الآخرين سيتعاون الآخرون بمثل ما تعاون معهم ذلك الانسان، ويبدو ان اشاعة ونشر عامة الأفعال الأخلاقية تكون من قبيل المقابلة، فهي سُنة من سُنن الحياة، لأنها تأتي على أساس قاعدة الفعل ورد الفعل، فالمتكبر مثلا تتكبر الناس معه وتنفر من معاشرته، والمتواضع تألفه الناس وتحبه وهكذا، ولا يُبقي الله تعالى النعم لأهلها إلا ان يقابلوه بالوفاء له سبحانه، ووفاءه يعني: طاعته من خلال احترام حقوق الناس وحرياتهم.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّـهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّـهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [٣].

لهذا فان الوفاء بالعهد اساس بقاء النعم ورضا الله تعالى على عباده، سواء كان ذلك الوفاء مع الخالق سبحانه وكذلك مع جميع مخلوقاته.

---

(١) انظر: الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري ص٥٧٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٤٠ .

(٣) سورة النحل: الآية ٩١ .

الشق الثاني تعريف العهد لغة واصطلاحا

العهد لغة: الوصية والأمان المَوَثَق والذمة، ومنه قيل: للحربي يدخل بالأمان، وذو عهد ومعاهد، وقد عَهَدتُ إليه أي: أوصيته، ومنه اشتق العهد الذي يُكتب لولاء الولاة، وأصل هذه المادة يدل على الاحتفاظ بالشيء [١] .

وقال الجرجاني: (العهد: هو حفظ الشيء ومراعاته حال بعد حال، فهذا أصله، ثم أُستخدم في المَوثِق الذي يلزم مراعاته)[٢].

وللعهد معان عدة منها:

١- **المَوَثَق واليمين:** كأن يُقال: (عليّ عهد الله تعالى وميثاقه) وسمي ولي العهد لأنه: ولي الميثاق الذي يؤخذ على من يبايع الأمير أو الخليفة.

٢- **الوصية:** كأن يُقال: (عَهَدَ اليَّ كذا) أي: أوصاني .

٣- **التقدم للمرء في شيء:** ومنه العهد الذي يُكتب للولاة.

٤- **الوفاء والحفاظ ورعاية الحرمة:** وهو ما يخص الحفاظ على حرمة الامانة.

٥- **الأمان:** يُقال (انا اعهَدك من هذا الأمر) أي: اؤمنك منه.

٦- **الالتقاء:** كأن يُقال (عهَدته بمكان كذا) أي: لقيته، وان عهدي به قريب.

٧- **الادراك:** كأن يُقال (عهدي بفلان وهو شاب) أي: أدركته.

---

(١) انظر: الصحاح: الجوهري ٢/ ٥١٥. مقاييس اللغة: أبن فارس ٤/ ١٦٧ . المصباح المنير: الفيومي ٢/ ٤٣٥ .

(٢) انظر: التعريفات: الجرجاني ص١٥٩.

٨- **المنزل الذي لا يزال القوم إذا فارقوه رجعوا اليه:** فيُقال له المعهد والمنزل، ودليل هذا يثبته ما جاء بمعلقة أمرئ القيس المشهورة:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

٩- **أول المطر:** كأن يُقال (عَهَدتُ الأرض أي: هي معهودة) ومعنى معهودة أي: ممطورة، وله معان اخرى[١].

ومما تقدم يتضح ان معاني العهد هي المعاني الخاصة بالوفاء وانجاز ما التزم الإنسان به، او قطعه على نفسه من عهد أو ميثاق سواء فيما بينه وبين الله تعالى، أو فيما بينه وبين الناس[٢].

والخيانة هي نقض العهد سرا، وضدها الأمانة[٣] والعهد هو ما يكون اتفاق بين جانبين، وإذا كان من جانب واحد فهو وعد، ونقضه (خلف الوعد) [٤].

ولو تدبرنا ما ذكرناه لوجدنا ان مفهوم العهد هو ما يقطعه الإنسان على نفسه من شرط وعهد لآخر، فهو من معاني الصدق ايضا.

الوفاء بالعهد في القرآن الكريم والسُنّة الشريفة

قال تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ

(١) انظر: الصحاح :٢/ ٥١٥. مقاييس اللغة ٤/ ١٦٧. المصباح المنير ٢/ ٤٣٥ . العهد والميثاق في القرآن الكريم: ناصر العمر ص١٧ .

(٢) انظر: نضرة النعيم ١١/ ٥٦٣٢.

(٣) انظر: المصدر نفسه ١١/ ٥٦٣٣.

(٤) انظر: بريقة محمودية: أبو سعد الخادمي ٢/ ٢٨١ .

الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّـهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّـهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٢].

وقال الامام الصادق عليه السلام:(ثلاثة لا عذر لأحد فيها: أداء الأمانة إلى البرّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين) [٣].

وقال الامام الرضا عليه السلام: (تدري لم سميّ إسماعيل صادق الوعد؟ قلت: لا أدري، قال: وعد رجلاً فجلس له حولاً ينتظره) [٤].

وقال الامام الصادق عليه السلام ايضا: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وعد رجلاً إلى صخرة فقال: أنا انتظرك هاهنا حتى تأتي، فاشتدّت الشمس عليه، فقال أصحابه: يا رسول الله لو أنك تحوّلت إلى الظلّ، فقال: (قد وعدته هنا) [٥].

وقال إلامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: بخصوص الأخلاق المتقابلة (الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله) وقال الامام الرضا عليه السلام: إنّا أهل بيت نرى ما وعدنا علينا دينا، كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله [٦].

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢ . الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٨٣ .
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧.
(٣) الخصال ١/ ٦٦.
(٤) علل الشرائع ١/ ٧٢ . عيون الاخبار ٢/ ٧٩.
(٥) علل الشرائع ١/ ٧٤ .
(٦) نفس المصدر ١/ ٧٥ .

ولو تدبرنا قول الإمام الرضا عليه السلام لوجدنا ان الوفاء يمثل في فلسفة الإمام روح الدين الإسلامي، ويمثل ايضا روح التشيع لأهل البيت عليهم السلام.

ومما يؤسف اليه لقد فقد الكثير من الناس الوفاء بعهده وصار من صفات المجتمع المتمدن المعاصر الذي كثيرا ما ينبهر به المسلمون عند مشاهدتهم له واختلاطهم بأفراده وهي مكتوبة في دينهم.

وعن الامام عليّ عليه السلام أنه قال: (الوفاء توأم الصدق، ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، ما لهم قاتلهم الله)[1].

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا بأن نقض العهد: هو عدم الوفاء به، وهذا من اعظم سوء الخلق، بل يُعد جريمة قد تترتب عليها جرائم اخرى واضرار جسيمة، كما انها ستؤدي الى تهديم اركان الثقة والتواصل بين افراد المجتمع الواحد .

إن الله تعالى جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلا بيننا وبينه

(١) انظر: المصدر نفسه ١/ ٧٥ وما بعدها.

المطلب الثاني

أهمية الوفاء بالعهد من الناحية الاجتماعية

من خلال ما تقدم من حديث يتضمن الوفاء بالعهد يتضح لنا إذا لم يتمسك أفراد المجتمع الوفاء بالعهد فان ذلك سيفقد ثقة البعض بالبعض، وإذا فُقدت الثقة بهذه الصورة من المؤكد ستتوقف الحياة الكريمة، وعندئذ لم يمنحنا الله سبحانه بما وعدنا من خير الدنيا والاخرة ولا يرفع عنا البلاء، كما صار ذلك لبني اسرائيل، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[1].

وروى علي بن ابراهيم قال: جاء رجل الى الامام الصادق عليه السلام قال له: يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2] وانا ندعو فلا يستجب لنا ؟ فقال له الامام عليه السلام: (انكم لا توفون الله تعالى بعهده، فانه سبحانه يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[3] ومعنى ذلك: لو وفيتم بعهده سبحانه وتعالى وما تخشون غيره لوفى لكم[4].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٠ .

(٢) سورة غافر: الآية ٦٠ .

(٣) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٤) انظر: تفسير العياشي ١/ ٤٢ . مجمع البيان ١/ ٩٥ . بحار الأنوار ٦٦/ ٣٤١.

وفي ضوء هذا يتضح ان الوفاء بالعهد من مستلزمات الايمان، لأن الايمان هو روح الدين، فمن لا ايمان له لا عهد له ولا وفاء، ولم يصدّق بحقيقة الدين، لهذا يجب ان يتربى الانسان منذ طفولته على التمسك بمبادئ الوفاء بالعهد، وان يبدأ بالوفاء بعهد الله تعالى ورسوله واهل بيته عليهم السلام وينتهي بالنتيجة الى الوفاء بعهد الناس من حوله، حتى يصبح عنده ذلك السلوك بمثابة العادات والتقاليد التي تكوّن اساس تكوينه الشخصي والنفسي.

إذا خانك من تحبه فلا تحزن وقل له كان بإمكاني الخيانة ولكن أخلاقي لا تسمح بهذه الاهانة

المبحث الثاني

الـــصـــــدق

ويتضمن هذا المبحث على اربعة مطالب هي :

المـطـلـــب الأول

تعريف الصدق

الصدق لغة: هو ضد الكذب، وصَدقَهُ الحديث أي: أنبأهُ بالصدق، ويقال: صَدَقَتُ القوم أي: قلتُ لهم صدقا، وصدَّقتُ القوم أي: صدَّقتُ بما قالوا [١].

والصدق اصطلاحا: هو الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب[٢]

وقيل: هو الوصف للمخبر عنه على ما هو به [٣].

والفرق بين الحق والصدق: ان الحق هو الحكم المطابق للواقع، وهذا ما يطلق ايضا على الاقوال والعقائد والاديان، لتضمنها على الحق والباطل، ومعنى: صَدَّق الحكم أي: مطابقته للواقع [٤].

---

(١) انظر: لسان العرب ١٠/ ١٩٣ . مختار الصحاح ص١٧٤.

(٢) الواضح في اصول الفقه ١/ ١٢٩.

(٣) أحكام الفصول: الباجي ص٣٥ .

(٤) انظر: الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري ص١٩٤ .

والعلاقة بين الصدق والوفاء هي : كل وفاء صدق، وليس كل صدق وفاء، فالوفاء أعم من الصدق، وان من اصناف الوفاء هو الصدق.

لهذا فان شرف الكلمة يتمثل بالصدق، فاذا كان كلام الانسان غير مطابق للواقع بصورة تامة، فان كلامه يعد فاقدا لشرف الكلمة، واذا فقد الانسان شرف كلامه حينئذ فقد كرامته ولا يصدّقه الناس إذا نطق صدقا أو كذبا، لأن الناس لا يحترمون ولا يصدقون إلا من يحترم شرف كلامه، وشرف الكلام هو الصدق.

هي الأخـلاق تنبت كالنبات إذا سقيت بـماء المكرمـات
فكـيف تضن بالأبناء خـيرا إذا نشأو بحضن السافلات

المطلب الثاني
دور الصدق في حياتنا الاجتماعية

ان جميع المعاملات التي يبرمها الانسان مع غيره ينبغي ان يتوافر فيها شرط الصدق، فاذا فقدت مصداقيتها فإنها ستنتهي الى ما لا يُحمد عقباه، وحينئذ سيصل افراد المجتمع الى حالة مأساوية، لأنهم سيصبحون لم يصدقوا بكل ما يطرح عليهم، ويشككون بصدق ما يطرحه الناس عليهم من عروض ومعاملات.

وبهذا سنفقد الكلمة الصادقة، وسنفقد معرفة الصادق من غيره، عندئذ سنفقد حقيقة اخبار الناس الحقيقية، لعدم تفرقة الناس بين الصدق والكذب، وستتلاشى معرفة حقيقة ما يدور بينهم، لهذا لو فقدنا شرف الكلمة لانهارت الروابط الانسانية بين البشر، ولأنعدم التعاون فيما بين افراد المجتمع في جميع مجالات الحياة .

ان وجود الصدق في أي مجتمع يعني وجود حياته كريمة، فلا حياة كريمة لأي مجتمع بدون الصدق، فالصدق هو الذي يصنع الثقة والاحترام بين الأفراد، فهو مثلا يصنع ثقة المريض بالطبيب ويجعل المريض يُسلم نفسه له، وهو الذي يجعلنا نُصدق بما ينقل الينا من تراث، كروايات الدين والتاريخ، والذي يُعرّفنا بحقيقة ما يدور في العالم من حوادث واخبار.

ولولا الصدق لما صدقنا مواثيق الناس وعقودهم من بيع وشراء وغيرهما، ولولاه لما أطاعَ الناس ولاتهم، وستتوقف العدالة في القضاء، وسيكون الجاني بريئا نزيها، والبريء الصادق هو الذي تحوم حوله الشكوك بالجريمة والانحراف إذا ما جعلوه مجرما...

وبالتالي ستتحول الحياة الى غابة يفترس بعضهم بعضا، فالقوي يأكل الضعيف، ويتقدم الأراذل ويتأخر الأشراف، ويتصدر الجهلاء والمرتزقة ادارة الامور، وينزوي العلماء والفضلاء، بينما يتقدم الجهلاء الذين يدعون العلم والمعرفة، ليدعون الناس الى التشكيك بكل ما هو صادق ونافع [١].

وتأسيسا على ما ذكرناه يتضح لنا ان المجتمع الذي لا يتصف بالصدق ستتحول حياته الى فوضى عارمة يأكل بعضه بعضا، ويسرق ويغتصب بعضه بعضا، وتهدر الحقوق وتهان الحرمات.

لذلك وضع الإسلام وقاية بمنتهى الروعة إذا تمسك بها المجتمع لم تحل به تلك الكارثة، ألا هي اتباع الصادقين واحتقار الكاذبين وعزلهم، ويتولى الصادقون كشف الكذب والكاذبين بكل الوسائل، كما امرنا الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [٢].

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية ١/ ٤٨٥ .

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٩ .

اوصاف الصادقين

يتصف الصادقون بعدة صفات من اهمها:

١- استواء ظاهرهم وباطنهم.

٢- اجتنابهم المعاصي واقامتهم الواجبات الشرعية دون رياء.

٣- وفائهم بما عاهدوا: قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[١].

وقال تعالى: ﴿قَالَ اللَّـهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٢].

وقد وعد سبحانه الصادقين الجنة لصدقهم مع ربهم سبحانه وتعالى ومع الناس، فهم المعول عليهم في احياء الحياة[٣].

ومما ينبغي الاشارة اليه ان الفطرة الانسانية ميالة بطبيعتها الى الصدق ورافضة الكذب، ولذلك نجد الناس الأسوياء يتصفون بالصدق، ويعدون الكذب صفة غير انسانية، بل يتجمع الصادقون مع بعضهم ولا يجعلون للكاذبين مكانا معهم، لأن طبيعة كل انسان سوي يحب ان يسمع من الصادق وينفر من الكاذب، لأن صفة الكذب يكتسبها الافراد في مجتمعاتنا منذ الصغر.

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٢٣ .

(٢) سورة المائدة : الآية ١١٩.

(٣) انظر: مجمع البيان: الشيخ الطبرسي ٣/ ٤٦٢ .

لهذا اتخذت الدول المتقدمة برامجا علمية ومنظمة في تربية اولادها على الصدق منذ طفولتهم، ويعلمونهم الصدق بطرق نفسية حديثة وناجحة، فعندما يكسر الطفل اثناء اللعب زجاجة الشباك مثلا، فاذا لوح له الابوان بالعقوبة حينئذ سيضطر الطفل على الانكار، ولكن إذا منحا له الحرية في التعبير فانه سيشرح لهما بصدق كيف كسر زجاجة الشباك، وسيشرح لهما ايضا كيف سيتجنب كسرها في المستقبل، وبهذه الطريقة النفسية التنموية سنجنب الطفل منذ نعومة اظافره التعود على الصدق والاشمئزاز من الكذب.

وهذه النظرية التربوية النفسية التي اتخذتها الدول المتقدمة لإعداد اجيالها اعدادا صحيحا أكد عليها الإسلام في مواضع متعددة، منها ما قاله الامام الصادق عليه السلام: (رحم الله تعالى من أعان ولده على بره) فقيل له: كيف يعينه على بره؟ قال: (يقبل ميسورة ويتجاوز عن معسوره ولا يرهقه ولا يخرق به) [١].

وكثيرا ما يُكرّه بعض الاباء اطفالهم على العبادة كالصلاة والصيام، مما يضطر الطفل أن يكذّب لعدم معرفة حقيقتها وعدم تحمله اداءها، وبسبب ذلك يبتعد الطفل عن الصدق شيئا فشيئا، حتى تفارقه صفة الصدق بصورة تامة ويصبح كذابا منافقا ازدواجيا في كل ما يقول ويعهد، كما سيكره تلك العبادات، بل سيضجر منها ويكفر بها، وقد يلازمه ذلك حتى بلوغه، وهذا ما وجدناه في الكثير من الأسر المتشددة التي ترغم صغارها على العبادة والممارسات الدينية دون اقناعهم وتعليمهم بذلك.

لهذا ورد عن الامام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: (ان هذا الدين متين فأوغلوا به برفق، ولا تكرهوا عبادة الله الى عباد الله) [٢] وعنه عليه السلام ايضا قال: (لا

(١) الكافي ٦/ ٥٠ .

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٨٦ .

تكرّهوا انفسكم العبادة)[١].

وقال ايضا: (اجتهدتُ في العبادة وانا شاب فقال لي أبي يا بني دونما اراك تصنع، فان الله تعالى إذا أحبَ عبدا رضيَّ عنه باليسير) [٢].

وبهذا المعنى أشار أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام حيث قال: (ان للقلوب اقبالا وادبارا، فاذا اقبلت فحملوها على النوافل، وإذا ادبرت فاقتصروا على الفرائض)[٣].

ومن أهم وسائل تنمية الصدق عند الاطفال ان تكون تربيته في المدرسة والبيت والمحيط الذي يتواجد فيه بصدق الكلام وتنفيره من جميع مظاهر الكذب ..

نعم تعد العبادة الوسيلة الاساسية التي تمنع المسلم عن ممارسة الفحشاء والمنكر، ولكن لا يمكن ذلك إلا بعد افهامها والاقتناع بها، فلا تنفع عبادة الطفل إلا بعد افهامه بالمتيسر من كلماتها ومعانيها ومقاصدها وغاياتها، بغية تفعيلها في سلوكه، وتنمية فطرة الصدق عنده، ويبتعد عن جميع اشكال الكذب، بحيث يجعل الكذب مكروها له، عندئذ سيتأثر بالسلوك الجمعي المحيط به فينساق تلقائيا الى طريق الصدق والاستقامة، لهذا فالغاية من عبادة الطفل هي التدريب والترويض والتعليم والاقتناع والتصديق بالغايات والمقاصد التي شُرعت العبادات من اجلها، كالتحلي بالأخلاق الطيبة واجتناب السيئات، كالفحشاء والمنكر الى ما غير ذلك من المنكرات الاخرى عرفا وشرعا.

وقال الامام الصادق عليه السلام: (لا تنظروا الى طول ركوع الرجل وسجوده فان ذلك

(١) المصدر نفسه ٢/ ٨٦ .

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٨٦.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: الآمدي ص٢٥١.

شيء اعتاد عليه فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا الى صدق حديثه وإداء أمانته)[١].

وقال الامام عليه السلام ايضا: (ان الله تعالى لم يبعث نبيا إلا بصدق الحديث واداء الامانة الى البر والفاجر)[٢]. ولعل من بين أهم اسباب نجاح نشر مذهب اهل البيت عليهم السلام هو تمسك اتباعهم الحقيقيون بما كان يتصف به اهل البيت الاطهار عليهم السلام من صدق في القول ووفاء في العهد، لأن دعوة اهل البيت عليهم السلام كانت تبدأ بهم، فكانوا يدعون الناس الى الصدق وهم افضل الصادقين، والى الوفاء بالعهد وهم خير الناس التزاما به، وهكذا سائر القيم والمبادئ الأخلاقية الاخرى.

فالداعي الذي يدعو الناس بدعوة معينة إذا كان هو غير ملتزم بها فان الناس لا تصدق بدعواه، بل يسري الشك في قلوبهم في اصل الدعوة ومصدرها.

ولذلك اصبح هذا النمط من الدعاة بسبب كذبهم بلاء على الإسلام ونقمة، وهذا ما اكده الامام الصادق عليه السلام بقوله: (كونوا دعاة للناس بالخير بغير السنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع) [٣].

وفي ضوء ما تقدم انَّ صفة الصدق عند الناس ينبغي ان تكون متوارثة لتتحول الى عادة يأخذها جيل عن جيل صعودا حتى تتصل بالصادق الامين صلى الله عليه وآله.

تنكشف الأخلاق في ساعة الشدة

(١) انظر: اصول الكافي ٢/ ١٠٤.
(٢) انظر: المصدر نفسه ٢/ ١٠٤ و١٠٥.
(٣) انظر: المصدر نفسه ٢/ ١٠٥ .

المطلب الثالث

علاقة الصدق بالاقتصاد والثقافة

ان من أهم المقومات الاساسية التي تطور الاقتصاد والثقافة المجتمعية في أي بلد بالعالم هو الصدق، فلولاه لانهارت جميع المعاملات بين الافراد والدول.

فالصدق هو سر نجاح الحركة الاقتصادية في جميع انحاء العالم، لأن الناس سرعان ما تكتشف الحقائق من خلال التجربة، ولهذا نجد الناس تلهث خلف البضاعة المجربة بالإتـقـان والجودة، وهذا ما أمر به الإسلام كما جاء في الحديث الشريف (إِنّ اللَّـهَ تَعَالى يُحِبّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ) ولكن مع شديد الأسف الذي طبق هذا الحديث غيرنا، فالدول المتقدمة نهضت لأنها أكلت مما زرعت، ولبست مما نسجت، وحارب مما صنعت [1].

وقد اثبت الواقع ان الذين تقدموا في الحياة بجميع المجالات ومنها المجال الاقتصادي هم من المؤمنين، حيث انهم على اقل تقدير آمنوا بنجاح ما قاموا به من منجزات اقتصادية، ثم اصبحت لديهم ثقة تامة بنجاحها، فمن المؤكد سيقدم لك الصادق اقتصادا متطورا وصناعة متميزة، أما الكاذب فلا تنتظر منه غير الحلية والاختلاس والسرقة والخيانة لصالح منافعه الخاصة [2].

---

(١) انظر: النظام التربوي في الاسلام ص٢٧٧ .

(٢) انظر:الله تعالى يتجلى في عصر العلم: ص٩٥. العلم يدعو للإيمان: كريسبي سوريسون ص٧٣ .

فاذا اردنا اقتصادا متطورا ووفرة بالمال علينا ان نبدأ اولا بالصدق والاعتماد على الصادقين دون غيرهم، وهذا لا يتحقق إلا بعد حملات تثقيف منظمة وتشريع قوانين رادعة، قال تعالى : ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[١].

لهذا يُعد الصدق بوابة نجاح اقتصاد البلدان، ولا يتحقق نموها الاقتصادي إلا بأفكار الصادقين وجهودهم.

أما الثقافة فهي الاخرى إذا تجردت من الصدق فستصبح خالية من الواقع ومجرد اكاذيب وافتراءات وخرافات من ضرب الخيال، وستكفر بها الناس عندما تكتشف الحقيقة.

لهذا فان قوام نجاح الثقافة هو الصدق، فلو كذبَ المدرسون مثلا على الطلبة واعطوهم معلومات كاذبة في مناهجهم الدراسية، وصار الكذب والخرافة علما يدّرس، حينئذ ستتوقف الحركة الثقافية في البلاد، وستصبح عملية تجهيل المجتمع بصورة دورية ومنظمة، وستعم الفوضى وتترسخ مفاهيمها بين عموم الناس، عندئذ يصبح اصلاح الامور عسيرا وشاقا، وذلك لانقلاب المفاهيم عند الناس حيث يفهمون الحق بأنه الباطل، ويفهمون الباطل بأنه الحق [٢].

لهذا فاذا اردنا ان ننشأ جيلا صادقا يقوم بتعمير الدنيا والظفر بالآخرة لابد علينا ان نؤسس ثقافة تنموية لبناء شخصية الإنسان الثقافية الصادقة، وهذا يتطلب جهدا كبيرا يبدأ من تعليم الابوين لأولادهم والمعلمين لطلابهم الى كل مفاصل الحياة الاخرى.

(إذا أردت أن تعرف أخلاق رجل فضع في يده سلطة ثم انظر كيف يتصرف)

(١) سورة الجن: الآية ١٦.

(٢) انظر: النظام التربوي في الإسلام ص٢٧٧ .

المطلب الرابع
أنـــواع الصـــــدق

لو تدبرنا صفة الصدق عند الناس لوجدناها متفاوتة من شخص لآخر، حيث نجدها على هيئة مراتب اعلاها كانت عند الانبياء والاولياء، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ اسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤).

وقد كان رسولنا الأكرم ﷺ يُعرف بالصادق الأمين، فيُعَدُّ الصدق صفة الأنبياء والأولياء الاساسية التي كان يعتمد على اساسها اعجاز دعوتهم، ولولا صدق الأنبياء

(١) سورة مريم : الآية ٤١ .
(٢) سورة مريم: الآية ٥٤ .
(٣) سورة يوسف: الآية ٤٦ .
(٤) سورة مريم: الآية ٥٦ .

وأهل البيت والأولياء لما اتبعهم أحد، لهذا صار الصدق أساس الإيمان، فلا إيمان من دون صدق.

ولو تدبرنا تفسير الآيات الكريمة المذكورة وسيرة الأنبياء وائمة أهل البيت الأطهار والصالحين من الأمة لوجدنا سمتهم الأساسية هي علو صدقهم في جميع مناحي الحياة، وتلك السمة هي التي جعلهم افضل من الآخرين، وصدقهم ايضا هو الذي قربهم الى الله تعالى أكثر من غيرهم، لهذا فان منازل الصدق تتفاوت من شخص لآخر على اعتبار مدى تمسك الانسان بالصدق في كل التصرفات والاقوال.

أقسام الصدق

يمكن تقسيم الصدق الى عدة أقسام هي :

١- **الصدق مع الله تعالى**: وهو الاخلاص مع النفس في جميع النوايا والاقوال والأفعال، وان تكون مقاصد تلك التصرفات خالصة لأجل طاعة الله تعالى ومرضاته، وليس فيها رياء، لأن كل عمل ليس فيه نية صادقة لله تعالى لن يُقبل، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّـهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّـهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١).

٢- **الصدق مع الناس**: وصورته ان لا يكذب المسلم في حديثه مع الاخرين، وان ينقل لهم ما سمعه او رآه او عرفه حق المعرفة، وان يكون كل ذلك بقصد مرضاة الله تعالى، لهذا يجب ان يتجنب الانسان مظاهر النفاق والازدواجية في السر والعلن.

(١) سورة النحل: الآية ٩١ .

لأن انكر الجرائم الأخلاقية هو الكذب والنفاق، حيث كان يتظاهر المنافقون بالإيمان ويتسترون به على كفرهم بهدف هدم الإسلام من داخله، والحفاظ على مصالحهم الخاصة، فجعلوا ايمانهم المنتحل ستارا لجرائمهم، قال تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّـهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾(١).

فهم يتحدثون امام الناس في الايمان اجمل القول وكأنهم افضل المؤمنين، ولكن الحقيقة كانت غير ذلك، فهم لا ايمان لهم ولا دين، وكانوا مثلا يتظاهرون بالصلاح وغايتهم منه الخراب والدمار، ويتظاهرون بالصدق والاخلاص وهم اكثر الناس كذبا وخيانة، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم افضل تعبير، فقال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّـهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۞ يُخَادِعُونَ اللَّـهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّـهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۞ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَـٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۞ اللَّـهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٢).

لهذا أعد الله سبحانه لهم أشدَّ العقوبات التي تقابل ما فعلوه في الدنيا من نفاق وكذب وخراب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾(٣).

---

(١) سورة النساء: الآية ٦١ .

(٢) سورة البقرة: الآيات ٨ -١٥ .

(٣) سورة النساء: الآية ١٤٥ .

كما حذر الله تعالى الاختلاط بالكذابين المنافقين والتعامل معهم، وذلك لعزلهم عن المجتمع من ناحية، ووقاية المجتمع من جرائمهم من ناحية اخرى، لأنهم يعرفون القرآن الكريم ولكنهم يتخذونه وسيلة لتغطية جرائمهم، وعلامة ذلك استهزاءهم به، فقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّـهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّـهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (١).

ووصفهم الله تعالى بأدق الصفات وابلغها في حالة اقامتهم العبادات، فتراهم يصلون ولكن هم لا يؤمنون بالصلاة، وانما يصلونها حتى يقول فيهم الناس بأنهم اصحاب دين وتقوى، لهذا فصلاتهم ليس لله تعالى وانما لخديعة الآخرين بها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّـهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّـهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٢).

٣- **الصدق مع النفس**: وهذا الصنف من الصدق يخص إيمان الانسان بما يقوله ويفعله، بحيث يكون الإنسان مؤمنا مقتنعا بما يقول ويفعل.

لهذا صار فرعون من الجبابرة الطغاة لعدم صدقه مع نفسه، فقال: انا أُحيي وأميت، لكنه كان أعلم الناس بأنه لا يستطيع احياء النفس وإماتتها، ويعلم ايضا ان الله تعالى وحده هو المحيي والمميت، ولكنه كذب نفسه ليصدقه قومه أو يُكرههم على تصديقه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾(٣).

(١) سورة النساء: الآية ١٤٠ .

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٢ .

(٣) سورة القصص : الآية ٣٨ .

وقال تعالى : ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[1].

حيث اثبت الله تعالى لفرعون وللآخرين بأن فرعون لا يحيي ولا يميت، فشاء الله سبحانه أن يغرقه ثم ينجيه من اعماق البحر، ذلك ليجعله عبرة لمن ادعى الربوبية، ويكشف كذب ادعاءه.

وقد توسع علماء النفس في موضوع ظاهرة صدق الانسان مع نفسه، واعتبروه فعالا لعلاج امراضه النفسية، بان يكون الانسان صادقا مع نفسه أولا ثم صادقا مع ربه والآخرين، وقالوا ان الغرور هو الذي يدفع الانسان الى الازدواجية في الشخصية، كما لفرعون الذي كان يعرف قدراته جيدا، ويعرف نفسه بأنه غير قادر على الاحياء والإماتة، ولكن غروره دفعه الى ذلك الادعاء المذكور، مما فقد مصداقيته مع نفسه، فأصبح جبارا طاغيا.

ولا نعلم ان شخصية فرعون هل كانت مريضة أم سليمة، لأنه كان في داخله شخصيتان، الأولى: فرعون الانسان والثانية فرعون الرب، وقد اظهر للناس الشخصية الثانية وأخفى الأولى لنفسه وخاصته، كما يفعل ذلك الطغاة والجبابرة والكثير من الناس.

لا تيأسوا فليس اليأس من أخلاق المسلمين

(١) سورة يونس: الآيات ٩٠- ٩٢ .

المبحث الثالث

التوبة والصبر والمراقبة

ويتضمن المطالب الاتية:

المطلب الأول

التـــــــوبة

تعريفها

التوبة لغة: مصدر الفعل تاب، وهي الرجوع، والعودة، والندم، فيقال: تاب من ذنبه أي: رجع عنه[1].

وقال ابن منظور: تاب الله تعالى عليه أي: وفقه لها، ورجل تواب أي: تائب الى الله تعالى، والله تواب أي: سبحانه يتوب على عبده، واصل تاب: عاد الى الله تعالى ورجع وأناب، ومعنى تاب الله عليه أي: عاد عليه بالمغفرة[2].

والتوبة اصطلاحا: ترك المعاصي في الحال، والعزم على تركها في الاستقبال، وتتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال، والندم على ما سبق من معصية[3].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ١/ ٣٥٧ .

(٢) لسان العرب ١/ ٢٣٣ .

(٣) انظر: احياء علوم الدين: الغزالي ٤/ ٤ و٥ .

لذلك فان التوبة هي ادراك الانسان خطأ عمله، وعزيمته على تركه، والندم على ما فعله، والاعتذار عن المُعتدى عليه، وطلب المغفرة من الله تعالى.

التوبة في القرآن الكريم والسُنّة الشريفة

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّـهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَـٰئِكَ يَتُوبُ اللَّـهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّـهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

حيث جعل الله تعالى التوبة فرصة لمراجعة الانسان حسابه في سالف اعماله وافعاله، ليتدارك ما عمله من اعمال خاطئة لجهله بخطئها أو تعمده بذلك.

وقد اشترط تعالى في فعل الجاهل ان لا يعلم بخطأ عمله فقال سبحانه: (يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ) والسوء هو العمل المخالف للشرع، فإذا عَلِم بسوء عمله حينئذ تاب، وإذا تاب توبة نصوحة غفر الله تعالى عنه عن حقه سبحانه، أما حقوق الناس فلا تسقط إلا بمصالحتهم وإرضائهم في الدنيا.

(١) سورة النساء: الآية ١٧ .

فالله تعالى واسع المغفرة والرحمة كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّـهِ ۚ إِنَّ اللَّـهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [٢] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّـهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [٣] .

(١) سورة الزمر: الآية ٥٣ .

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٥ .

(٣) سورة التوبة : الآية ١٠٤ .

فالتوبة من الفروض التي فرضها الله تعالى على المؤمنين جميعا، لأن الانسان غير معصوم عن الخطأ، لهذا يقع منه الخطأ بسبب جهل أو غفلة ثم يجب عليه أن يتوب، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّـهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

ومن هنا يتضح لنا ان الله تعالى يعلم ما في نفس الانسان حيث جعلها متقلبة من حال الى حال حسب البيئة التي يعيش فيها الانسان والظرف الزمني الذي يمر فيه من أزمات، فلا يمكن أن تستقر النفس البشرية على هذه المتغيرات، خصوصا إذا عصفت بها.

لذلك جعل الله تعالى التوبة رحمة منه سبحانه لعباده، فهي التي تمنح الانسان فرصة ثمينة تجعله يترك السوء ثم يعود الى الطاعة والامتثال، كأداء الصلاة والصوم ومحاسن الاخلاق، ويكف عن الاعمال المنهي عنها، كالسرقة ومساوئ الأخلاق الاخرى.

ولو تدبرنا القرآن الكريم لوجدنا معظم الآيات المدنية جاءت تدعو الى التوبة، ومن المعروف ان الآيات المدنية نزلت في بداية الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة، فلابد من اعلان العفو والصفح في بداية أي دعوة الى الخير والصلاح، حتى تتهيأ الفرصة أمام الانسان للتغير والكف عن الرذائل، وهذا ما فعله الرسول الأكرم ﷺ في بداية دعوته الإسلامية.

لهذا جاءت احاديث الرسول الأكرم ﷺ مؤكدة لذلك، ومن تلك الأحاديث ما روي عن شداد بن اوس قال: قال رسول الله ﷺ: (سيد الاستغفار ان يقول اللهم انت ربي لا اله إلا انت خلقتني وانا عبدك، وانا على عهدك ووعدك ما استطعت، اعوذ

(١) سورة النور : الآية ٣١ .

بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك عليّ، وابوء لك بذنبي فاغفر لي، فانه لا يغفر الذنوب إلا انت..)[١].

وقد ورد عن الامام الباقر عليه السلام انه قال: (لا والله ما أراد الله تعالى من الناس إلا خصلتين: أن يقر له سبحانه بالنعم فيزيدهم، وبالذنوب فيغفرها لهم)[٢].

وقال عليه السلام ايضا: (ما ينجو من الذنب إلا من أقر به)[٣] ومعنى الحديث هو: أولا: لابد من الاعتراف بالذنب وقبحه، وثانيا: العزم على الترك.

ولا تصح التوبة إلا بعد ان يعطي الانسان حقوق الناس في الدنيا، حيث روي ان شيخا قال للإمام الباقر عليه السلام: لم أزل واليا منذ زمن الحجاج الى يومي هذا، فهل لي من توبة ؟ فسكت عنه الامام عليه السلام فأعاد الشيخ على الامام السؤال نفسه، فاعرض عنه، فأعاد عليه للمرة الثالثة، عندئذ قال له الامام عليه السلام: (ما لك توبة، ما لك توبة، حتى تؤدي الى كل ذي حق حقه، عندئذ تكون لك توبة)[٤].

وهذا يؤكد لنا ان الخطأ لا يفارق الانسان، فلا احد منا يستطيع ان يزكي نفسه عن الوقوع بالخطأ، حيث لابد من وقوع كل انسان بالخطأ، ثم يتوب ويندم عليه، ويعطي لمن وقع عليه الخطأ حقه، وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قال: (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطَّائين التوّابون)[٥].

---

(١) صحيح البخاري: باب فضل الاستغفار، رقم الحديث (٦٣٠٦).
(٢) وسائل الشيعة ١٦/ ٥٩.
(٣) المصدر نفسه ١٦/ ٥٩ و١٦٢.
(٤) المصدر نفسه ١٦/ ٥٢.
(٥) مسند احمد ٣/ ١٩٨.

لأن الانسان في مثل هذا العصر المتخم بالأزمات والمغريات قد يقع في الخطأ رغما على انفه، لهذا جعل الله تعالى التوبة ملازمة للإنسان ليكفّر بها عن ذنبه والأخطاء التي يرتكبها، فهي فرصة تتيح له الرجوع الى رشده والاقلاع عما وقع منه من خطأ ومجون.

هذه الصورة مدرسة في اليابان يعطوهم جرعة من الدروس العلمية والتربوية حتى يتعبون، ثم يطلبون منهم ان يناموا بعمق كل على رحلته الدراسية حتى يستعدوا لتناول جرعة دراسية وتربوية اخرى طوال النهار، وذلك لاستغلال جميع ساعات العمر.

المطلب الثاني
الصـــــبر

ويتضمن الفقرات الآتية :

تعريفه:

الصبر لغة:هو نقيض الجزع، وأصل الصبر الحبس، وكل من حَبَسَ شيئا فقد صَبَرَهُ، وهو حبس النفس عن الجزع[1].

واصطلاحا: هو حبس النفس عن محارم الله تعالى، وحبسها على فرائضه... وقيل: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله تعالى، وقيل: هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو ما يقتضيان حبسها عنه[2].

ومن هنا يبدو ان السلوك الاخلاقي المنضبط على وفق احكام الشرع الإسلامي لا يتمكن الانسان الاتيان به إلا مع الصبر، بغية تقوية ارادته لمنعها من ممارسة الاخلاق السيئة على الرغم من توافر المغريات المتزايدة.

---

(١) انظر: الصحاح ص٧٠٦ . لسان العرب ٤/ ٤٣٧ .

(٢) انظر: التعريفات ص١٣١ . مفردات الفاظ القرآن الكريم ص٤٧٤ .

الصبر في القرآن الكريم والسُنّة الشريفة

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[١].

ولأهمية الصبر من ناحية، وصعوبة الالتزام به من ناحية اخرى، لذلك وعد الله تعالى الصابرين الجنة، بل جعل السلام عليهم بما صبروا، فقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [٢].

كما قلنا ان للصدق درجات كذلك للصبر درجات ايضا، فالصبر المعجز لا يتمكن عليه إلا الانبياء والاولياء، ولكن علينا بصبر المستطاع والممكن، أما صبر الأنبياء والاولياء فانه معجز على البشر القيام به، لأنهم لا يطيقونه، والله تعالى لا يحمل الإنسان بما لا يطيق، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّـهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [٣] .

فمثلا على الرغم من منح اولياء دم المُجنى عليه (المقتول) حق القصاص إلا ان الله تعالى جعل الصبر في العفو أو الصلح أفضل من القصاص، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [٤].

كما خص الله تعالى الصابرين والذين عملوا الأعمال الصالحة بالمغفرة والعفو والاجر، فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[٥].

---

(١) سورة الاحقاف: الآية ٣٥ .

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٦

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٦.

(٥) سورة هود : الآية ١١ . انظر: الوافي: ٣/ ٦٥ و٦٦.

بل قدم سبحانه الصبر بقصد مرضاته تعالى على اداء الصلاة واداء الحقوق المالية، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (١).

وقد تواترت أخبار أهل البيت عليهم السلام في افضلية الصبر والصابرين، فقال الامام الصادق عليه السلام: (الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، وكذلك إذا ذهب الصبر ذهب الايمان) وقال الامام الباقر عليه السلام: (الجنة محفوفة بالمكاره، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار) وقال عليه السلام: (لما حضرت أبي الوفاة ضمني الى صدره وقال: يا بُني، اصبر على الحق وإن كان مرّاً، توف أجرك بغير حساب) وقال الامام الصادق عليه السلام: (من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له أجر ألف شهيد)(٢).

ومن هنا تتجلى اهمية الصبر من خلال الدوام والمثابرة على العبادة، فإنها من مدارج تربية الإنسان.

يمكن للإنسان أن يدخل قلوب الآخرين دون أن ينطق بكلمه واحدة، إذ يكفيه سلوكه الناطق بالصفات الكريمة و الأخلاق الحميدة

(١) سورة الرعد: الآية ١٢ .
(٢) الوافي ٣/ ٦٥.

المطلب الثالث
المراقـــــبة

سنتناول هذا الموضوع في الفقرات الآتية:

ماهيتها

وهي ان يراقب الانسان نفسه من خلال تصديقه بأن الله تعالى يعلم بكل نواياه وافعاله، وانه تعالى يراه [1].

لذلك تُعد المراقبة من أهم وسائل الردع الطوعي عند الانسان، وعامل طوعي ايضا لوقايته من الذنوب والامراض الاخلاقية السيئة، فهي تجعل الانسان في حالة من المراقبة المستمرة لحساب النفس وتحذيرها من الوقوع بالمعاصي .

المراقبة في القرآن الكريم والسُنّة الشريفة

قال تعالى: ﴿يوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۞ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[2].

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين: الغزالي ٤/ ٢٩٧.

(٢) سورة الزلزلة: الآية ٦- ٨.

ففي هذا النص دليل على أنَّ جميع اعمالنا مسجلة وتسجل عند الله تعالى، حتى الانفاس والافكار والنوايا محفوظة في صحيفة اعمالنا، وستبقى ليوم القيامة ماثلة لتكون حجة لنا أو علينا، وهذا ما يستدعي منا عدم الغفلة عن عواقب ما نقوم به بالدنيا.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّـهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّـهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد﴾ (٢).

لهذا فان حسابنا يوم القيامة سيكون بمنتهى الدقة والعدالة عما قمنا به في الدنيا من نية وقول وعمل، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّـهُ﴾(٤).

لذلك فان تحديد مصير الانسان يوم القيامة سيكون على اساس ما قاله وفكر به وفعله في الدنيا، وكل ذلك مسجل ويتسجل في كل لحظة وثانية، وعلى أساس ذلك سيكون الحساب يوم القيامة من الشدة أو اللين، قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا(٥).

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٠ .
(٢) سورة ق: الآية ١٨ .
(٣) سورة الانبياء: الآية ٤٧ .
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٤ .
(٥) انظر: مجمع الزوائد ١/ ٣٣٧ .

وفي وصية رسول الله ﷺ لابي ذر الغفاري (رضي الله تعالى عنه) قال: (يا أبا ذر حاسب نفسك قبل أن تُحاسب، فانه اهون لحسابك غدا، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهز للعرض الأكبر يوم لا تخفى على الله تعالى خافية) [١].

وعملية مراقبة النفس تتطلب من الانسان أن يخلو مع نفسه ويعظها ثم يأخذ عهدا منها تتعهد فيه ان لا ترتكب المعصية ولا تترك الطاعة، لأن الالتزام بالمبادئ الاخلاقية الكريمة، وتبقى عملية مراقبة الانسان لنفسه وردعها بصورة مستمرة مادام الإنسان حيا.

لهذا قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: (ان الحازم من شغل نفسه فأصلحها وحبسها عن أهوائها ولذاتها فملكها)[٢].

وهذا لا يكفي لتحقيق غاية المراقبة بل يجب عند الوقوع بالذنوب توبيخ النفس بصورة مستمرة وعتابها ولومها ساعة بعد اخرى، وبهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: (من وبخ نفسه على العيوب ارتدعت عن كثرة الذنوب) [٣].

بل جعل الامام الكاظم عليه السلام محاسبة النفس شرطا لمن يتشيع لأهل البيت عليهم السلام حيث قال: (ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فان عمل حسنا استزاد وان عمل سيئا استغفر الله تعالى وتاب اليه)[٤].

---

(١) غرر الحكم ص١٢٦ رقم الحكمة ١٠٠ .
(٢) المصدر نفسه ص٣٦٨ رقم الحكمة ١٥٥٦ .
(٣) الكافي ١/ ٤٥٣ .
(٤) المصدر نفسه ١/ ٤٥٣ وما بعدها .

فمن خلال ما سبق يتضح لنا الفرق بين المحاسبة والمراقبة، وعلاقة تزكية النفس بهما، وبحساب يوم القيامة، فلو تدبرنا الآيات القرآنية التي جاءت لبناء اخلاق المسلم لوجدناها أكثر الآيات، حيث بلغ عددها اربعا وخمسمائة والف آية، موزعة في مختلف سور القرآن الكريم مكية ومدنية، وهذا يبين لنا بجلاء اهمية منظومة الاخلاق في الاسلام، بل تظهر غايات الإسلام الاساسية من خلال شعور الانسان بأهمية المراقبة من قبل الله تعالى.

لهذا تتقدم تصديق الإنسان بالمراقبة على كل شيء حتى انها تتقدم على طلب العلم، فليس للعلم اية قيمة بدون ايمان الإنسان بمراقبة ربه له، وليس لهما قيمة ايضا إذا كان الدافع لهما لغير الامتثال لله تعالى، فلا تطمئن نفس الانسان إلا بالإيمان والعمل معا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّـهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّـهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١).

وقد ذكر تعالى بأن النفس المطمئنة ترجع الى ربها وهي مطمئنة مستقرة بما وعد الله تعالى لها، وبما صدّقت به من أجر يمنحها الله سبحانه يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾(٢).

(١) سورة الرعد: الآية ٢٨.

(٢) سورة الفجر: الآيتان ٢٧و٢٨ .

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٢].

وهكذا تتجلى فكرة تفعيل الاخلاق لدى الانسان من خلال شعوره بمراقبة خالقه له في السراء والضراء، فهو سبحانه مطلع على ظاهره وباطنه.

رحم الله من ظنّ بنا خيرًا وغفر الله لمن قال فينا ما ليس فينا

(١) سورة غافر: الآية ١٩.

(٢) سورة يونس: الآية ٦١.

المبحث الرابع

التواضع والرفق وخفض الجناح والعفو

ويتضمن هذا المبحث على المطالب الاتية:

المطلب الأول

التواضع والرفق وخفض الجناح

سنبحث هذا المطب في الفقرات الاتية:

تعريف التواضع والرفق

التواضع لغة: هو التذلل والتخشع [١].

واصطلاحا: هو كراهية التعظيم، وان يتجنب الانسان المباهاة والمفاخرة بالجاه والمال وغيرهما، والتحرر من الاعجاب والكِبر [٢].

وقيل: التواضع هو اظهار التّـنزل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، بحيث لا يصل الى درجة التذلل، لأن التذلل اظهار العجز عن مقاومة المتذلل له[٣].

---

(١) انظر: العين: الفراهيدي ٢/ ١٩٦ . تاج العروس: الزبيدي ٢٢/ ٣٤٣.

(٢) انظر: تهذيب الأخلاق: الجاحظ ص٢٥ .

(٣) انظر: الفروق اللغوية: ابو هلال العسكري ٢١٦ .

والرفق في اللغة: النفع، وهو ضد العنف، ولين الجانب، ويقال رَفق بالأمر وله وعليه يَرفُق رِفقا، فيقول العرب مثلا: فلان خافض الجناح أي: انه لطيف المعاملة والرعاية، ويظهر الرقة والتواضع والحلم،وقيل: هو المداراة مع الرفقاء، ولين الجانب، واللطف في الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها[١].

ومما يبدو ان الالفاظ والكلمات المذكورة في معنى الرفق كلها تؤدي الى مفهوم التواضع الذي يُعد من اوضح اللفاظ الدالة على معناه.

واصطلاحا: هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف كما جاء ذلك في تعريفه اللغوي [٢].

وان صفة خفض الجناح للوالدين هي مرتبطة بصفة الرفق، وهي مفردة من مفردات منظومة مكارم الأخلاق،كما سيأتي الحديث عنها.

التواضع في القرآن الكريم والسُنّة الشريفة

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [٣].

والهون في اللغة: هو الرفق واللين والسكينة والوقار[٤] والمقصود بـ (هوْنًا) أي: يمشون على الارض بسكينة ووقار، ولا تتنافى الهيبة مع التواضع بشرط ان لا تكون

(١) انظر: العين: الفراهيدي ٢/ ١٩٦ . تاج العروس: الزبيدي ٢٢/ ٣٤٣.
(٢) انظر: تهذيب الأخلاق: الجاحظ ص٢٥.
(٣) سورة الفرقان: الآية ٦٣.
(٤) انظر: مدارك السالكين: ٣/ ١٠٨.

بقصد التكبر والتعالي، فلا يمنع من الجمع بين الرفق والوقار والهيبة مع التواضع، فقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾[١].

لذلك ينبغي ان يتصف المسلم بصفة الهون (الوقار) في مشيه، وإذا كانت صفة المسلم الوقار في مشيه على الأرض فهذا يتطلب منه ان يتصف بالصفة نفسها مع ساكنيها، وقد كان الرسول الأكرم ﷺ هو الانموذج الاول بذلك، حيث قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: (كان رسول الله إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب)[٢].

وقيل ان السير على عشرة أنواع، أحسنه وأسكنه: مشية رسول الله ﷺ ومعنى المنحط من الصبب أي: يرفع رجليه من الأرض رفعاً بائنا بقوة، والتكفؤ أي: التمايل إلى الامام، كما تتكفأ السفينة في جريها، وهو أعدل انواع المشي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا مشى ليس في مشيه كسل، وأن مشيته ﷺ كان بهيبة دون تكبر، وقال: معنى الصبب - بفتح الصاد المهملة والباء الموحدة الأولى هو الموضع المنحدر من الأرض، وذلك دليل على سرعة مشيه، لأن المنحدر لا يكاد يثبت في مشية، ومعنى التقلع: الانحدار من الصبب، والتقلع من الأرض قريب بعضه من بعض، يعني: أنه كان يتثبت في خطواته، ولا يبين منه في هذه الحالة استعجال، ولعل أراد بهذا اللفظ قوة المشي، بحيث يرفع رجليه من الأرض رفعاً قوياً، لا كمن يمشي اختيالاً ويقارب خطواته، فإن ذلك من مشي النساء[٣].

---

(١) سورة المزمل: الآية ١٠.

(٢) انظر: تاريخ الطبري ٢/ ٢٢١.

(٣) انظر: المصدر نفسه ٢/ ٢٢١ وما بعدها.

ومن المشي السيء أن يمشي الإنسان بانزعاج واضطراب، مشي الجمل الأهوج، وهذه المشية مذمومة، وهي علامة من علامات خفة عقل صاحبها، وخصوصا عندما يكثر الانسان الالتفات يميناً وشمالاً، أما المشي هوناً ووقارا فهو مشي عباد الرحمن، وكانت هذه الصفة من صفات الرسول الأكرم ﷺ انه كان يمشي بسكينة ووقار من غير تكبر ولا تماوت [١].

وما هي علاقة التواضع بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٢] ؟.

ان العلاقة واضحة نشهدها في كل يوم، حيث اكثر ما يلتقي الانسان رغما عليه في الطرقات الجهلاء، فكأن الآية الكريمة تريد ان ترشد المسلم اثناء سيره في الطرقات فتقول له: عليك ان تتعامل مع الجهلاء بلين ورفق وعدم تكبر، وان لا تقابلهم بنفس جهلهم، لأن الكلام مع الجاهل كالكتابة فوق الماء، إذ إنَّ ميزت العالم عن الجاهل ان العالم مرّ بمرحلة الجهل ثم تجاوزها بالعلم والمعرفة، أما الجاهل فأنه لا يعرف العلم والمعرفة كونه لم يجتاز مرحلة الجهل وبقى فيها.

لذلك فان الجاهل إذا خطأ لا يعرف جسامة خطئه، وبسبب جهله يتوهم ان خطئه هو الصواب بعينه، لهذا اوجب الله تعالى التعامل مع هؤلاء بالطرقات باللين والتروي والتواضع، بغية اصلاحهم وارشادهم، وعدم المساجلة معهم بهدف الابتعاد عن شرهم.

وهذا ما كان يتبعه رسول الله ﷺ معهم، فكان ﷺ يخاطبهم بالسلام (قَالُوا سَلَامًا) فكان يصبر على جهلهم ثم يهجرهم ويتركهم بكل لين ولطف وحكمة، فقال تعالى

---

(١) انظر: المصدر نفسه ٢/ ٢٢١ .

(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٣ .

مخاطبا رسوله الامين: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١).

ومن لوازم التواضع واللين بخصوص هجر الجهلاء ان نهجرهم بلطف ولين ودون اشمئزاز، لأن الجاهل لا رحمة عنده ولا تروي في ارتكاب المعاصي والجرائم، لذلك لا تجوز قطيعتهم واظهار احتقارهم وانما مواصلتهم بالحسنى على وفق ما تتحمل عقولهم، وهذا المقصود من قوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ لهذا كان رسول الله ﷺ يدفع بالتي هي أحسن على وفق ما أمره ربه، قال تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ . ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(٢).

اضافة الى ما ذكرناه فان التكبر عامل اساس في انبعاث البغض في نفوس الناس اتجاهه، ولهذا السبب لا ينجح المتكبر في حياته، لذلك نجد من بين أهم صفات الانبياء والاولياء في دعواتهم التواضع واللين، فقال تعالى في تواضع رسوله الأكرم ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّـهِ ۚ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٣).

بل أمر الله تعالى نبيه بأكثر من ذلك حيث أمره بصفة اكثر من التواضع وهي خفض الجناح، فقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة المزمل : الآية ١٠ . انظر: تفسير الكاشف ٧/ ٤٤٩.

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٢١٥.

كما امر سبحانه المؤمنين ان يتواضع بعضهم لبعض، فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّـهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[١].

ومما يبدو من خلال ما ذكره القرآن الكريم ان صفة التواضع هي الصفة التي تحافظ على ديمومة تواصل الانسان مع الاخرين على اختلاف طبقاتهم، كما انها تصنع المودة في علاقات الناس مع بعضهم، بين الغني والفقير، والعالم والمتعلم، والرئيس والمرؤوس وهكذا ...[٢].

كما كان ﷺ يستجيب لدعوة أي داع من اصحابه فقيرا كان أم غنيا، ويأتي لدعوته حتى لو كانت وليمته بسيطة، بل كان يطلب من اصحابه ان لا يتكلفوا في طعام الوليمة ويقبل منهم اليسير[٣].

ويريد الرسول الأكرم ﷺ من تصرفه هذا مع اصحابه ان يعلمهم حرمة الاسراف والتبذير في الاسلام امتثالا لأمر الله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[٤].

وكان ﷺ لا يملك اجود ناقة، بل كانت ناقته بسيطة وعادية، وقد تسبقها في الكثير من الاحيان النوق الاخرى[٥].

بل كان ﷺ يعد التكبر صنف من اصناف خنوع واذلال الانسان لغرائزه المريضة

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.
(٢) انظر: رياض الصالحين: ص١١٦و١١٧.
(٣) انظر: المصدر نفسه ص١١٧.
(٤) سورة الاسراء: الآية ٢٧.
(٥) انظر: رياض الصالحين ص١١٦و١١٧.

التي تجعله ينظر الى الناس بانهم ادنى منه واقل منه شأنا، فقال ﷺ: (إذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم، فان ذلك لهم مذلة وصغار) (١).

فكان الرسول الأكرم ﷺ يربي اصحابه على التواضع بشتى الوسائل والطرق حيث قال يوما لبعض أصحابه (ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة ؟) فقالوا له: وما حلاوة العبادة ؟ قال: (التواضع) (٢).

بل كان يدعو اصحابه الى التواضع ويقول لهم: (ان احبكم اليّ وأقربكم مني يوم القيامة مجلسا أحسنكم خلقا واشدكم تواضعا) وقال ايضا: (ان الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه) (٣).

وقال ﷺ: (من اعطى حظّه من الرفق حظّه الله تعالى من خير الدنيا والآخرة) (٤).

وقال ﷺ: (الرفق رأس الحكمة، اللهم من ولى شيئا من امور امتي فرفق بهم، ومن شقق عليهم فاشقق عليه) (٥).

فكانت تلك شخصية الرسول الأكرم ﷺ كذلك اهل بيته الأطهار عليهم السلام فهم الذي ساروا على نهجه بغاية من الدقة والتدبر، فكان مثلا الامام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام عندما يمر بمساكين وهم يأكلون الخبز اليابس، يأتي الى جانبهم ويسلم عليهم، فيدعونه الى طعامهم، وفعلا يستجيب لدعوتهم ويجلس معهم،

(١) تنبيه الخواطر ١/ ٢٠١ والمقصود بالتكبر هنا الابتعاد عنهم بلين ولطف وعدم مداهنتهم.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٠١ .
(٣) المصدر نفسه١/ ٢٠١.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٠٢ .
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٠٢ وما بعدها.

وهكذا كان أهل البيت عليهم السلام مثال الخلق الرفيع والادب الجم من خلال تمسكهم الحقيقي بالإسلام وطاعتهم لأحكامه.

خفض الجناح للوالدين:

خفض الجناح: هو لين الكلام وترك الإغلاظ في القول، وهو صفة من صفات التواضع [١].

ومن معاني الجناح التي جاءت في القرآن الكريم اليد كما في قوله تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [٢].

وكثيرا ما يكون خفض الجناح للوالدين كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[٣].

سمات خفض الجناح للوالدين

ومن تلك السمات هي:

١- طاعتهما بالمعروف والاحسان اليهما .

٢- مقابلة اوامرهما بالفرح والترحاب .

٣- مبادأتهما بالسلام وتقبيلهما .

---

(١) انظر: مجمع البيان: الشيخ الطبرسي ٦/ ٤٤٧. التفسير الكبير: الرازي ٩/ ٢١١.

(٢) سورة القصص: الآية ٣٢ .

(٣) سورة الاسراء: الآيتان ٢٣ و٢٤.

٤- التوسعة لهما بالمجلس عند دخولهما اليه والجلوس امامهما بكل أدب، وعدم فعل أي فعل ينافي الكمال معهما .

٥- مساعدتهما في اعمالهما وبكل اخلاص ومثابرة .

٦- تلبية ندائهما بسرعة وبدون تأخير.

٧- تجنب الجدل المزعج معهما .

٨- عدم جواز مد اليد قبلهما اثناء الطعام .

٩- استئذانهما عند الدخول والخروج .

١٠- تذكيرهما بالله تعالى وامرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر مع مراعاة احترامهما تجنب الشدة والتكرار في لومهما .

١١- كثرة الدعاء لهما في حياتهما وبعدها.

١٢- قبول عذرهما مع اللطف بهما.

١٣- الصفح عنهما ونسيان معاتبتهما ولو لم يعتذرا.

١٤- بذل المستطاع لهما من الخدمة والجاه والمال.

١٥- ترك المنة عليهما، والابتعاد عن مطالبتهما بالمثل.

١٦- تحمل عتابهما إذا عاتبا وحمله على أحسن المحامل.

١٧- تجنب الاعتداء عليهما في كل الاحوال.

١٨- خفض اللسان وعدم ارتفاع الصوت او الحدة معهما.

ومن الاحكام التي اكد عليها القرآن الكريم خفض الجناح للام التي جاهدت بنفسها وروحها في الانجاب والرعاية، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾(١).

وهكذا أقر القرآن الكريم خفض الجناح وطاعة الوالدين ومعاملتهما بالحسنى حتى لو كانا مشركين، ولكن في حالة إذا كانا مشركين فلا تجوز طاعتها بالشرك، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (٢).

ومعنى ذلك إذا طلبا منك الشرك بالله تعالى فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولكن عليك ان تصاحبهما في الدنيا بالمعروف، وتدعوهما الى نبذ الشرك والايمان باللين والحُسنى.

ومن خلال ما سبق ذكره يجب طاعتهما في الواجبات والمندوبات وحتى المباحات، ولكن لا يجوز طاعتهما في كل ما هو محرم، كالعداء للناس الابرياء والصالحين، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُم﴾(٣).

علامة حب الله تعالى كثرة ذكره

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٥.

(٣) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

المطلب الثاني
العـفــو

يُعرف العفو لغة: هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، واصل لفظ العفو المحو والطمس، وكل من استحق عندك العقوبة فتركتها فقد عفوت عنه[1].

وقيل ان العفو والصفح من المترادفات أو المشتركات المعنوية، فالصفح مصدر صَفَحَ عنه يَصْفَح صَفْحًا أي: أَعرض عن ذنبه، وهو صَفُوح وصَفَّاحٌ عَفُوٌّ، والصَّفُوحُ الكريم، لأنه يَصْفَح عمن جَنى عليه[2].

وذكر بعض العلماء أن الصفح مشتق من صفحة العنق، لأنَّ الذي يصفح كأنه يولي بصفحة عنقه، إعراضًا عن الإساءة[3].

والصفح اصطلاحا: هو كف الضرر مع القدرة عليه، وكل من استحق عقوبة وهو قادر على المعاقبة، ويعود حقها له وحده فتركها، فهذا الترك يسمى صفحا وقيل:

---

(١) انظر: تاج العروس ١٩/ ٦٨٦ . جمهرة اللغة ٢/ ١١.

(٢) انظر: تاج العروس ١٩/ ٦٨٦ وما بعدها.

(٣) انظر: المصدر نفسه ١٩/ ٦٨٧.

هو ترك التأنيب[١] وقيل: إزالة أثر الذنب من النفس[٢].

ومن هنا يبرز الفرق بين العفو والصفح فهما متقاربان في المعنى، أما الفرق بينهما فهو قليل جدا يتركز فيما قاله الراغب حيث قال: الصفح: ترك التثريب، وهو أبلغ من العفو وقد يعفو الإنسان ولا يصفح، وقال البيضاوي: العفو ترك عقوبة المذنب، والصفح: ترك لومه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾[٣] وذلك ترقيًا في الأمر بمكارم الأخلاق، من الحسن إلى الأحسن، ومن الفضل إلى الأفضل [٤].

وقال القرطبي: العفو: ترك المؤاخذة بالذنب، والصفح: إزالة أثره من النفس، صفحت عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه[٥] والفرق بين العفو والغفران: أن الغفران يقتضي إسقاط العقاب وإسقاط العقاب هو إيجاب الثواب فلا يستحق الغفران إلا المؤمن المستحق للثواب، ولهذا لا يستعمل إلا في الله فيقال غفر الله لك ولا يقال غفر زيد لك إلا شاذا قليلًا... والعفو يقتضي اسقاط اللوم والذم ولا يقتضي إيجاب الثواب[٦].

(١) انظر: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: الحسني ص٥٣.
(٢) انظر: مفردات الفاظ القرآن الكريم ص٥٧٤.
(٣) سورة الشورى: الآية ٣٩. انظر: مفردات الفاظ القرآن ص٥٧٤.
(٤) انظر: مفردات الفاظ القرآن الكريم ص٥٧٤ .
(٥) انظر: صفوة التفاسير ١/ ١٥٢.
(٦) انظر: المصدر نفسه ١/ ١٨١ .

اما الفرق بين العفو والذلِّ: فالعفو إسقاط حقِّك جودًا، وكرمًا وإحسانًا، مع قدرتك على الانتقام، فتؤثر الترك رغبة في الإحسان، ومكارم الأخلاق، بخلاف الذُّل، فإنَّ صاحبه يترك الانتقام عجزًا وخوفًا، فهذا مذموم غير محمود، ولعل المنتقم بالحق أحسن حالًا منه، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ (١).

وجاء ايضا بمعنى ما يفضل عن النفقة، حيث أُمرو ان ينفقوا الفضل في بداية الأمر الى ان فُرضت عليهم الزكاة، كما يأتي بمعنى الزيادة في الطول، كما في الحديث الشريف (حفوا الشوارب واعفوا اللحى) (٢).

والعفو اصطلاحا: هو كف الضرر مع القدرة عليه، فهو كل من استحق عقوبة، وقدرة المُعتدى عليه على معاقبة من استحقها، ويعود حق العقوبة له وحده، ولكنه تركها فهذا الترك يُسمى عفوا، وقيل ان معنى العفو هو السماح عن الذنب بدون مقابل (٣).

أما الصلح فهو السماح عن الذنب بمقابل يُمنح لصاحب الحق، كدفع الدية أو التعويض لأولياء المُجنى عليه، وحينئذ يكون الصلح ترك العقوبة مقابل الدية أو التعويض (٤).

وملخص ما ذكرناه فان كل الصفات المذكورة هي من مكارم الأخلاق، ولكنها تتفاوت على أساس مقدار السماح والعفو الذي يقوم به المُعتدى عليه.

---

(١) سورة الشورى: الآية ٣٩.

(٢) انظر: المعجم الكبير : الطبراني ١٣/ ٦٥١ .

(٣) انظر: التحرير والتنوير ٢٨/ ٢٨٥. تفسير الكشاف ص١٢٨ . تفسير الرازي ٦/ ٥

(٤) انظر: التعريفات: الجرجاني ص٩٤. فتح الباري: ابن رجب ١/ ١٥٢. التباين في تفسير غريب القرآن: ابن الهائم ص٦١ .

العفو في القرآن الكريم والسُنة الشريفة

لقد ورد لفظ العفو في القرآن الكريم في احدى وثلاثين آية، وبمعان متعددة من ضمنها جاء من اسماء الله الحسنى في خمس آيات، وكذلك جاء فعل بمعنى السماح كالذي ورد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلك لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿اعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٢].

ومعنى ذلك اعفنا من العقوبة وسامحنا بأن استر علينا سيئاتنا، فلا تفضحنا يوم الحشر الأكبر، وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء[٣].

ومن معاني العفو الاخرى التنازل للمرأة بنصف مهرها عند طلاقها قبل الدخول بها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّـهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٤].

لهذا فان اقرب صفات التقوى هو العفو، لأنه يؤذن بسماحة صاحبه ورحمته، والقلب المطبوع على السماحة والرحمة، اقرب الى التقوى من القلب الصلب الشديد[٥].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٥٢.

(٢) سورة البقرة: الأية ٢٨٦ .

(٣) انظر: صفوة التفاسير ١/ ١٨١ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٣٧ .

(٥) انظر: التحرير والتنوير ٢/ ٤٦٤ . صفوة التفاسير ١/ ١٥٢

وان التذكير بالمواقف الايجابية والفضائل بين الزوجين قد يدفعهما ذلك الى ان يعفو احدهما عن الآخر ثم يتركا الطلاق ويستأنفان حياتهما الزوجية، حيث جعل الله تعالى استذكار المواقف الجميلة بين الطرفين من الطرق الموصلة الى العفو والمسامحة[١].

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[٢].

والمراد بالمصيبة في سياق الآية الكريمة ما يقع على الانسان من بلاء بسبب ما ارتكبه، ومعنى ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي: انه تعالى يعفو ويمحو الذنوب التي ليس فيها اعتداء على أحد، ويسترها على المذنبين، فيما إذا عفا سبحانه وتعالى، ولا يمكن قبول العفو إذا كان فيه حق لمظلوم، فلا يتحقق إلا بعد رفع الظلم عمن وقع عليه أو صالح عليه أو عفا عنه [٣].

حيث روي عن أمير المؤمنين انه قال: (ألا اخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله ؟ هي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَت أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ قال عليه السلام فسرها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايدكم، والله تعالى أكرم من ان يثني العقوبة، وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا فالله سبحانه احلم من ان يعود بعد عفوه) [٤].

(١) انظر: صفوة التفاسير ١/ ١٥٢.
(٢) سورة الشورى : الآية ٣٠ .
(٣) انظر: التفسير الكبير : الرازي ٢٧/ ١٧٤
(٤) الاتقان في علوم القرآن ص٥٤٨ .

ولو تدبرنا عفو الله تعالى عن عباده لوجدناه اكثر من الكثير، فلو عاقبنا الله تعالى بكل ما قمنا به في الدنيا من اخطاء وزلات لهلكنا في الدنيا قبل الآخرة، ولكن كثيرا ما يغفر سبحانه عنا زلاتنا، لذلك ورد في الحديث الشريف (لا يصيب ابن آدم خدش عود، او عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلا بذنب، وما يعفو عنه أكثر) [١].

وجاء العفو والصفح والغفران في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٢].

فالعفو هو ترك المعاقبة على الذنب، والصفح هو الاعراض وترك المذنب دون عقاب وتوبيخ، والغفران هو ستر الذنب وعدم اشاعته [٣].

هذه بعض الآيات التي اشارت صراحة الى العفو والتسامح والصبر على الاذى، بغية ترسيخ الأخلاق الفاضلة والعيش بسلام ومحبة وتآلف، إلا إذا كان العفو فيه مفسدة ودفع المجرمين الى الاستمرار في ارتكاب جرائمهم، فعندئذ تجب العقوبة بالقدر الذي يضمن تنفيذها بغية توقف الجريمة وردع المجرمين .

أما في السُنة الشريفة فان الإسلام أعد العفو عن المسيء عزا للعافي وكرامة وشجاعة في المواقف وصلابة في الأزمات والشدائد، بل جعل للعفو أفضلية كبيرة على اقامة العقوبة والقصاص، وقد وردت احاديث وروايات كثيرة بهذا الخصوص منها ما قال رسول الله ﷺ: (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله تعالى عبدا بعفو

(١) صفوة التفاسير ٣/ ١٤١ . تفسير الكشاف ص٩٨٠.
(٢)سورة التغابن: الآية ١٤ .
(٣) انظر: التحرير والتنوير ٢٨/ ٢٨٥ . تفسير الكشاف ص١٢٨ . التفسير الكبير ٦/ ٥٣ .

إلا عزا، وما تواضع أحد لله سبحانه إلا رفعه الله تعالى)[١] وقال ﷺ ايضا: (ارحموا ترحموا واغفروا يُغفر لكم)[٢].

وجاء رجل الى الرسول الأكرم ﷺ فقال له يا رسول الله كم نعفو عن الخادم ؟ فصمت الرسول الأكرم ولم يجب الرجل مما اعاد الرجل سؤاله، فصمت الرسول الأكرم ايضا، فلما كان في الثالثة قال ﷺ له: (اعفو عنه في كل يوم سبعين مرة)[٣].

والمقصود بـ (سبعين مرة) المبالغة والكثرة، بدليل قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّـهُ لَهُمْ﴾[٤].

وقال الامام الصادق عليه السلام: (إنا اهل بيت مروتنا العفو عمن ظلمنا)[٥].

وقد وردت احاديث وروايات كثيرة لا يتسع المجال لذكرها، جميعها تدعو الى العفو والتسامح وكظم الغيظ وضبط النفس عند الغضب والمصائب، وانه من الأخلاق الفاضلة والكريمة، وفيه عزة للنفس وترفع، ودلالة كبيرة على قوة الشخصية وسلامتها من الحقد والحسد والروح العدوانية والانتقامية، فأصبح العفو من اخلاق الكبار وليس من اخلاق الصغار، لهذا قال امير المؤمنين عليه السلام: (من كمال الايمان و مكافئة المسيء بالإحسان) [٦].

---

(١) صحيح مسلم : رقم الحديث (٢٥٨٨) .
(٢) المعجم الكبير: الطبراني ١٣/ ٦٥١ .
(٣) المصدر نفسه ١٣/ ٣٢٦.
(٤) سورة التوبة: الآية ٨٠ .
(٥) انظر: ميزان الحكمة: الريشهري ٣/ ٣٧٢٢.
(٦) المصدر نفسه ٣/ ٣٧٢٢.

ومن هنا يتضح بان العفو لا يصدر إلا عن الانسان الذي لا يحمل صفات الحقد ومرض الانتقام والثأر ووساوس البغضاء على الآخرين، بل يصدر من الانسان المملوء قلبه بمحبة الناس ومودتهم، وفيه طابع العفو والتسامح وعزة النفس والتفاؤل والجود.

المبحث الخامس

الحياء والـــــوقار

ويتضمن هذا المبحث على مطلبين هما:

المطلب الأول

الحـــــياء

تعريفه:

الحياء لغة: الحشمة، وهي ضد الوقاحة، وقد حيي منه حياء واستحياء واستحى فهو حييّ، وهو الانقباض والانزواء[1].

واصطلاحا: هو خلق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، وقيل: هو تغيير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يُعاب به ويذم، ومحله الوجه[2].

وقد ذكر الوجه لأنه أكثر ما تظهر عليه علامات الأنسان من غضب أو فرح أو احترام الآخر أو احتقاره، وكذلك يظهر عليه الحياء والخجل.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة ٢/ ١٢٢ . لسان العرب ١٤/ ٢١٧ .

(٢) انظر: الفروق اللغوية ص٢٤٤ .

الفرق بين الحياء والخجل :

ذكرنا تعريف الحياء بأنه خلق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح ويمنع التقصير في حق ذي الحق ومحله الوجه، أما الخجل: فمحله الوجه ايضا، ولكنه يظهر عند الإنسان بسبب ذهاب الحجة، والخوف من اظهار ما في صدر الانسان، او يكون سببه مرضا نفسيا، كضعف الشخصية، مما يسبب الريبة والدهشة، لذلك قال العرب: معنى الخجل الدهشة، فقال الكميت :

فلم يدفعوا عندنا ما لهم لوقع الحــروب ولم يخجلوا

أي: لم يبقوا دهشين مبهوتين [١].

ويظهر مما سبق ان الخجل هو الشعور بالنقص في شخصية الانسان، لاعتقاده بأنه اضعف من الآخرين، ولا يستطيع مواجهتهم حتى لو لم يرتكب خطاء بحقهم، وهذا من امراض الشخصية الذي له حديث في غير اختصاص هذا البحث.

أما الحياء: فهو شعور نابع من الإنسان برفعة النفس والكرامة، لذلك فان الحياء ينهي الإنسان عن الزنا والكذب وغيرهما، فهو نقطة قوة، لأنه من مكارم الأخلاق، بينما الخجل نقطة ضعف لأنه يظهر عند الإنسان بسبب شعور بخطأ أو عيب أو لوم وندم وانكسار.

الحياء في القرآن الكريم والسُنّة الشريفة:

يُعد الحياء من أهم الأخلاق الفاضلة، حتى قيل: ان الإيمان جسم عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء، وقد قسمه بعض العلماء على هذه الأقسام، وسنضع دليلا قرآنا في كل قسم منها:

---

(١) انظر: الفروق اللغوية ص٢٤٤ وما بعدها.

١٩- الحياء من الله تعالى: ومفاده استحياء الانسان أن يكون مقصرا أمام الله تعالى في اداء الواجبات، أو ارتكاب المعاصي، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[١].

ومما يروى ان رجلا خلا بامرأة على الفاحشة فقال لها: ما يرانا الآن إلا الكواكب، قالت له: فأين مكوكبها ؟ أي: اين خالقها، ثم انشدت تقول :

وإذا خلوتَ بريبة في ظلمـــة والنـــفس داعيـــة الـى الطغيـان

فاستحي من نظر الاله وقـــل لها ان الذي خلق الظلام يرانـــي

٢٠- الحياء من الناس: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ۖ وَاللَّـهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّـهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّـهِ عَظِيمًا﴾ [٢].

٢١- الحياء من الملائكة: قال تعالى:﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [٣].

لهذا يجب ان يكون عند المسلم حياء من الملائكة عندما يرتكب الفحشاء والمنكر، لأنهم يرونه.

---

(١) سورة ق: الآية ١٦.

(٢) سورة الاحزاب: الآية ٥٣.

(٣) سورة الانفطار: الآيات ١٠و١١و١٢.

٢٢- الحياء من النفس: قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١].

ودلالة الآية الكريمة مجاهدة النفس الامارة بالسوء، وهذه المجاهدة شاقة للغاية، حيث تطلب النفس من صاحبها كل الشهوات والملذات والحصول على المال الحرام والحلال بقصد التمتع بها في الدنيا، ولكن الذي يمنعها الإيمان المترسخ في نفس الإنسان، وتستمر مطالبة النفس ويستمر منعها في حالة صراع وملاومة مستمرة.

أما في السُنة الشريفة فعن أبي مسعود (البدري) قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ ممَّا أدرك النَّاس مِن كلام النُّبوَّة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت)[٢].

فما مِن نبيٍّ إلَّا وقد نَدَب إلى الحَيَاء وبُعِث عليه، وأنَّه لم ينسخ فيما نُسخ مِن الشرائع السماوية، ولم يُبَدَّل فيما بُدِّل منها، وقد خُلق الحَيَاء مِن أفضل الأخلاق وأجلِّها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصَّته الإنسانيَّة.

وقال رسول الله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستُّون شعبة، أعلاها: قول: لا إله إلَّا الله. وأدناها: إماطة الأذى عن الطَّريق. والحياء شعبة مِن الإيمان) [٣].

وسبب (الحَيَاء شعبة مِن الإيمان) لأنه يمنع صاحبه عن المعاصي ويدفعه لفعل ما أمر الله تعالى به، لذلك قال الإمام الصادق عليه السلام: (لا إيمان لمن لا حياء له) [٤].

---

(١) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٢) صحيح البخاري رقم الحديث (٦١٢٠).

(٣) صحيح مسلم، رقم الحديث (٣٥).

(٤) الكافي ٢/ ١٠٦.

وقال الامام الباقر عليه السلام: (إن أعمال العباد تعرض على نبيكم كل عشية خميس فليستحي أحدكم أن يعرض على نبيه العمل القبيح)[١].

وقال امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب عليه السلام: (من لم يستحِ من الناس لم يستحِ من الله سبحانه)[٢].

وقال عليه السلام: (العفاف يصون النفس وينزهها عن الدنايا)[٣] وعنه عليه السلام ايضا قال: (إذا أراد الله بعبدٍ خيراً أعف بطنه وفرجه)[٤].

وهكذا نجد من خلال الروايات الواردة التي ذكرناها بأن الحياء مرتبط بالإيمان ارتباطا مباشرا، فالذي لا ايمان له لا حياء له بدافع الخشية من الله تعالى.

فتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وتغيير فطرة الإنسان التي فطر الله تعالى الناس عليها فيها خدش بالحياء من جهة وضعف بالإيمان من جهة اخرى، وقد وردت بذلك احاديث وروايات كثيرة منها ما قاله الإمام الباقر عليه السلام: (لا يجوز للمرأة ان تتشبه بالرجال، لان رسول الله صلى الله عليه وآله لعن المتشبهين من الرجال بالنساء ولعن المتشبهات من النساء بالرجال)[٥].

---

(١) بحار الأنوار ٣٣/ ٣٤٤.
(٢) ميزان الحكمة١/ ٧١٨.
(٣) عيون الحكم والمواعظ ص٢١.
(٤) ميزان الحكمة ١/ ٨٤٢.
(٥) بحار الأنوار ١٤/ ١٦٤.

والتشبه له الكثير من النماذج، وهو يشمل بالنسبة للمرأة كل ما خالف طبيعتها ووافق طبيعة الرجل، وبالنسبة للرجل كل ما خالف طبيعته، وعلة عدم الحياء والتصرفات الأخلاقية السيئة الأخرى ضعف إيمان الإنسان بربه ودينه.

عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به

المطلب الثاني
الوقـــــار

الوقار لغة: السكون والحلم والرزانة، ويأتي ايضا بمعنى التعظيم، قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّـهِ وَقَارًا﴾[1] وقال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[2].

واصطلاحا: هو سكون النفس وثباتها عن الحركات ويأتي ايضا بمعنى الإمساك من فضول الكلام ومراعاة الاشارة والحركة وقلة الغضب والإصغاء عن الاستفهام، والتوقف عن الجواب بغية التحفظ من التسرع خشية الزلل والخطأ[3].

الفرق بين التوقير والوقار

يستعمل التوقير في معنى التعظيم، يُقال مثلا: وقرته أي: عظمته، فالوقار هو ما يتصف به الإنسان من صفات الرزانة والهيبة، والسكينة هي مفردة من مفردات صفات الوقار،حيث انها تعني التأني في الحركات واجتناب العبث، كغض البصر

---

(١) سورة نوح: الآية ١٣ . انظر: الصحاح: الجوهري ٢/ ٨٤٨. لسان العرب: ٨/ ٤٨٩١و٤٨٨٩ .
(٢) سورة الفتح: الآية ٩.
(٣) انظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراف: ابن مسكويه ص٢٨ . التعريفات : الجرجاني ص٢٠٥ . تهذيب الاخلاق : المنسوب للجاحظ ص٢٢.

وقباحة الصوت وكثرة الالتفات والاطناب المفرط والمزعج في الكلام[١].

ومن الجدير بالإشارة اليه ان صفات الوقار تترسخ في الانسان من خلال التربية الاجتماعية والنفسية منذ الصغر، لهذا ينبغي على الصغار أن يتعودوا على الوقار في جميع تصرفاتهم الحياتية المعروفة منذ نشأتهم الاولى .

الوقار في القرآن الكريم والسُنّة الشريفة:

قال تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [٢].

إذ وصف الله تعالى عباده في هذه الآية بالوقار، واسماهم سبحانه بـ (عِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ) لأن الوقار يعني الامتثال والطاعة لله تعالى، ومن صفاتهم انهم يتصرفون بسكينة وتواضع وهدوء، ولا يتصنعون الوقار، كما نرى مشية البعض كمشية المرضى، لأنهم لا يعرفون حتى تصنع الوقار، او يمشون بتبختر وخيلاء، فينظر الناس اليهم باستحقار وريبة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [٤].

---

(١) انظر: الفروق اللغوية ١/ ١٤٧. شرح النووي على صحيح مسلم ٥١/ ١٠٠.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

(٣) سورة لقمان: الآية ١٨.

(٤) سورة لقمان: الآية ١٩.

حيث تضمنت الآيتان اروع الوصايا التي وصى بها لقمان ابنه، قال له: ليكن مشيك متوازنا بين الاسراع والتأني، ففي الاسراع واصطناع رفع الرأس الخيلاء والتكبر، والمبالغة في الوقار هو النفاق والازدواجية المفضوحتان[١].

ان هذه الصفات الخاصة بالوقار سهلة التحدث بها، ولكن من الصعوبة تطبيقها دفعة واحدة، لذلك ينبغي التدريب عليها، وممارستها بصورة تدريجية.

فمن امثلة الوقار ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام انه نهى عن كثرة الكلام وسرعته، أو ما يطلق عليها بـ (الثرثرة) فانها تحبط شخصية الأنسان وتجعله مكروها بين الاخرين، حيث قال: (خير الكلام ما لا يمل ولا يقل، والاكثار يزل الحكيم، ويمل الحليم) [٢].

وان كثرة الكلام تؤثر سلبا على بلاغته وتبعثر معانيه وتفقد قصده وغايته، فيصعب فهم المراد منه، لهذا قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مثل هذا النوع من الكلام: (فلا يرى له احد، ولا ينتفع به احد) [٣].

ومن خلال ما سبق يتضح ان الوقار هو علامة على وجود الحياء عند الانسان والكياسة، يقول ابن حجر: (ان من الحياء ما يحمل صاحبه على الوقار، بان يوقر غيره، ويوقر هو في نفسه، ومنه ما يحمله على ان يسكن عن كثير مما يحرك الناس، وفيه التي لا تليق بذي المروءة) [٤].

---

(١) انظر: الكشاف: الزمخشري ٣/ ٢٩١ . لباب التاويل في معاني التنزيل: الخازن ٣/ ٣٩٩.

(٢) انظر: مؤسسة السبطين العالمية الالكترونية موضوع (اثار الصمت).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) فتح الباري ١٠/ ٥٢٢.

ولهذا فان الوقار يكسو الانسان هيبة وبهاء، ويدعو الناس لسماع قول الوقور وقبوله، بل يدعوهم الى احترامه وتقديره، ويصون الانسان من الخطأ والزلل، ويطبع الحب في قلوب الآخرين اتجاه الوقور، ويدعو الناس لمهابته.

ومن الصفات التي تذهب الوقار الغضب، حيث يقلل الغضب من هيبة الانسان لدى الآخرين، ويفسد الإيمان، ويوثر في صحة الانسان الجسمية والنفسية، ويصم الاذان، ويخرس اللسان، ويفقد الوقار، لهذا قال اهل العلم: (اتقوا الغضب فانه يفسد الإيمان، كما يفسد الصبر العسل)[١].

ويؤدي كثرة المزاح الى تصدع وقار الإنسان عند الآخرين، مما يستخفون به، وقد يصل الأمر في معظم الأحيان الى احتقاره، بل والاعتداء عليه[٢].

لهذا كانت صفة الوقار صفة الأنبياء والأولياء والحكماء، فينبغي الاجتهاد على التدريب عليها والتمسك بها.

لا تشن وجه العفو بالتأنيب

(١) مختصر منهاج القاصدين: المقدسي ٣/ ٣٩.

(٢) انظر: موارد الضمآن لدروس الزمان: عبد العزيز السلمان ٥/ ١٦٩.

المبحث السادس

آداب السفر واقسامه وعلاقته مع بعض الجوانب الأخلاقية

ويقسم على المطالب الآتية:

المطلب الأول

آداب السفر

ان من اهداف الدين الإسلامي أن يعيش الانسان في إطار من التكامل الروحي والإنساني الذي يرقى به الى السعادة في الدنيا والآخرة، وذلك لضمان حقوقه وصون كرامته التي وهبها أالله تعالى له، وهذا الهدف يتحقق عن طريق الاركان الأربعة للحياة :

الأول العقائد: وهو الإيمان والتصديق القلبي التام بما جاء في الشرع وحكم به العقل، كالإيمان بالتوحيد والنبوة والامامة وصفات الباري عز وجل والقيامة والمعاد وغيرها.

الثاني الأحكام: وهي الأحكام الشرعية التي جاءت لتصف الأفعال أما بالوجوب أو الندب (الاستحباب) أو الحرمة أو الكراهة أو الإباحة، والتي يحصل عليها المكلف بالاجتهاد أو الاحتياط أو التقليد.

الثالث الأخلاق: وهي التي تتمثل بالملكات النفسية التي تصدر عنها الافعال العبادية وغير العبادية، فهي أعم وأشمل من الأحكام والعقائد، كالجود الذي يدفع ملكة الكرم للإنفاق، وملكة السماحة التي تدفع للعفو والصفح والتسامح وهكذا...

الرابع الآداب: وهي الأوضاع والهيئات الحسنة التي يمكن أن تتصف بها كل الأفعال الاعتقادية والعبادية والمباحة الصادرة من الإنسان، فالاعتقاد فيه آداب معينة، كعدم نسبة الأفعال غير المناسبة لمقام النبوة، وللعبادة آداب معينة كإقامة آداب الصلاة مثل عدم العبث غير المبطل للصلاة، وآداب مساعدة الفقراء والمساكين، وآداب البيع والشراء الى ما غير ذلك، فهذا هو وجه افتراقها عن الاخلاق، حيث انها تمثل الحالة الخارجية التي يتلبس بها الفعل الخارجي للإنسان، أما الأخلاق فهي تتعلق بمنابع الأفعال من حيث البعد الباطني لها، والذي يمثل جهة الصدور، كصفة الصدق الصادرة من مصادر الإسلام التشريعية[١].

وبتعبير أكثر وضوحا فان الفارق بين الآداب الاسلامية والاخلاق ان (الآداب) لون من الوان الظاهر، بينما الاخلاق لون من الوان الباطن، فهما يمثلان هاتين الدائرتين الباطن والظاهر، ودائرة الباطن من مختصات المنظومة الاخلاقية، أما دائرة الظاهر فهي من مختصات المنظومة الادبية، فالحسد مثلا الذي ينهانا الشارع عنه امر باطني، فلا يتسنى لأحد ان يرى الحسد، أما الادب فيتسنى النظر اليه، كطريقة تناول الطعام مثلا الذي ينبغي أن نتناوله على وفق ما أقره الشرع في الآداب الإسلامية[٢].

---

(١) انظر: فقه الأخلاق: المرجع السيد محمد صادق الصدر ١/ ٨٩.

(٢) انظر: كتاب الأخلاق: أحمد أمين ص٢٧. علم الأخلاق: باروخ نبيتورا ص٢٩ ترجمة: جلال الدين سعيد، مؤسسة بن راشد آل مكتوم.

ومن خلال ما تقدم يتضح ان آداب السفر هي الممارسات الأخلاقية الظاهرية التي تظهر على المسافر عند سفره، كآداب الطعام التي تظهر على المسلم عند تناوله الطعام والشراب، وكالآداب التي يتمسك بها المسلم عند التحدث مع الاخرين، والابن مع والديه، والأخ مع إخوته، واستخدام الطريق، واثناء الدرس وفي المدرسة ومع المدرس، وكذلك العالِم مع المتعلم، وآداب صلة الاقارب، والصحبة، والسلام، والاستئذان، والمجلس، والعمل والتجارة، والوضوء والصلاة والمسجد وصلاة الجماعة والجمعة، وعند تلاوة القرآن الكريم، والدعاء والصيام، الى ما غير ذلك من الآداب الأخرى التي تتعلق بالحياة، والتي بينتها الشريعة الإسلامية في مواضع متفرقة، حيث قال بذلك الامام الصادق عليه السلام: (ليس شيء مما خلق الله تعالى صغيرا وكبيرا إلا وقد جعل الله سبحانه له حدا)[١].

فالآداب هي افعال اخلاقية ظاهرة تشمل كل ما جاء به الشرع الإسلامي من تأدب العبد مع الله تعالى وكذلك الإنسان مع الإنسان الاخر، ومع الاشياء التي ذكرنا شطرا منها، لهذا فالمسلم يحتاج الى كل ما جاء به الإسلام بسفره[٢] .

وينبغي على المسلم أن يجعل أدب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام منهاجا له في كل مناحي الحياة، فقال صلى الله عليه وآله: (أدبني ربي فأحسن تأديبي) وقال أيضا: (أنا اديب الله تعالى وعلي اديبي)[٣].

(١) انظر: مساوئ الأخلاق واثرها على الأمة: الدكتور خالد بن حامد الحازمي ص١٨٧، المكتبة الالكترونية. بحار الأنوار٢/ ١٧٠.
(٢) بحار الأنوار٢/ ١٧٠.
(٣) المصدر نفسه ١٦/ ٢٣١.

لذلك يجب على المسافر المسلم أن يتمسك بأعلى صفات الأدب من الصفات التي ذكرناها، ولاسيما ان الكثير من الناس لا يظهر على حقيقته في محل اقامته، ولكن اذا سافرت معه حينئذ ستشهد حقيقة اخلاقه وأدبه، لهذا سمي السفر سفرا لأنه يُسفر عن حقيقة المسافر في سفره، لما في السفر من مشقة وكشف اسرار المسافر وتصرفاته الخاصة به، لذلك يحتاج المسافر الى قوة مضاعفة في التحمل والالتزام بتعاليم الإسلام واحكامه اتجاه الاخرين. [١].

وتأسيسا على ما تقدم فرض الله تعالى على عباده المسلمين في حالة السفر اكثر تركيزا من حالة الإقامة في الموطن، كحسن المعاشرة، والصبر على المشقة، واللين في التعامل، والدقة في الصدق والعهد والموعد، والمحافظة على الممتلكات العامة والخاصة، وعدم الجهد والاعياء، لهذا اقر سبحانه وتعالى القصر في الصلاة وتأجيل الصوم، بغية المحافظة على المسلم من الجهد والاعياء، ولاسيما يتغير على المسافر الكثير من الامور التي تعوّد عليها في طعامه ومنامه وتصرفاته الاخرى، وهذه كلها تصرفات ظاهرة وهي من قبيل الآداب التي تعد جزء من مكارم الأخلاق والتي سنقف على اقسامها وبعض احكامها في المبحث الآتي.

(١) انظر: التلخيص الحبير ٤/ ١٩٧.

المطلب الثاني

أقسام السفر من الناحية الشرعية وآدابه

يُقسم السفر من حيث حكمه الشرعي على ثلاثة أقسام وهي:

القسم الاول سفر الطاعة .

القسم الثاني سفر المعصية .

القسم الثالث سفر المباح .

سفر الطاعة: ويقسم على قسمين: سفر الواجب وسفر المستحب، فالواجب هو الذي فُرض شرعا عند توفر شروط وجوبه، كسفر الحج عند توفر القدرة والاستطاعة، أما المستحب فهو كسفر طلب العلم والزيارة ونحو ذلك.

وقد اطلق العلماء على سفر الواجب والمستحب بـ (سفر الطاعة) وهو ما توفر فيه قصد طاعة أحكام الله تعالى التي حددتها النصوص الشرعية وفصلها الفقهاء .

سفر المعصية: وهو السفر لأجل غاية نهى عنها الشارع الإسلامي، فالتحريم ليس في السفر وانما لغايته المحرمة شرعا، والتي قصدها المسافر مما اصبح السفر على اساسها محرما، أو ما أُطلق عليه بـ (سفر المعصية) ومن امثلته الكثيرة: السفر لارتكاب المحرمات، كالسرقة والقتل والزنا والنظر الى ما حرم الله تعالى النظر اليه.

سفر المباح: وهو السفر لأمر غير واجب ولا مستحب ولا محرم، كالسفر للسياحة والاطلاع والتجارة وزيارة الاقارب والاصدقاء والتطبيب وغيرها، وهذا السفر فيه فوائد كثيرة منها ما قالها أحد الشعراء بقوله :

تغرب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الاسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب ومحبة ماجد[1].

ولأهمية السفر وتعدد فوائده لذلك جعلت له الشريعة الإسلامية احكاما خاصة في جميع المذاهب الإسلامية منها: قصر الصلاة الرباعية، والجمع بين الصلاتين بالنسبة لبعض المذاهب الإسلامية الذين لا يجيزون الجمع في محل اقامتهم، والافطار في شهر رمضان، وعدم وجوب صلاة الجمعة الى ما غير ذلك من احكام التخفيف، وكلها لا تشمل سفر المعصية، وانما تشمل سفر الواجب والمستحب والمباح، وكل هذه الأحكام جاءت لأن الله تعالى أراد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر، ولا يكلفهم ما لا يطيقونه من الناحيتين الجسمية والنفسية.

ومن خلال ما سبق ذكره من تخفيف العبادات على المسافر بغية تذليل المشقة والعسر لما يمر به من شدة بسبب تغيير محل اقامته وسكناه، وما يتعرض له من ظروف السفر الأخرى، وما دام قد خفف عليه الله تعالى تلك الواجبات للأسباب المذكورة، فمن باب أولى ينبغي على المسافر المسلم في سفره أن يرعى الآخرين رعاية خاصة، وان يجتهد لتحملهم في جميع المجالات، فيكثر مثلا من الكرم والتسامح والسخاء والمروءة وطيب الكلام وعدم التمادي على حقوق الآخرين المادية والمعنوية الى ما غير ذلك من الأخلاق والآداب الكريمة الأخرى.

---

(١) يتيمة الدهر ٥/ ٤٠.

وينبغي على المسافر ان يلتزم عند سفره بجميع الاحكام الإسلامية، وهذا يعني وجوب الالتزام بكل ما جاء به القرآن الكريم والسُنّة الشريفة، وسنذكر هنا بعض ما جاء في السُنّة الشريفة بهذا الخصوص من الاحاديث والروايات التي تشير الى آداب خاصة بالسفر، وهذه طائفة منها:

١- **الوقار والطمأنينة في المشي**: قال الامام الصادق عليه السلام: كان الامام السجاد عليه السلام: (يمشي كأن على رأسه الطير لا يسبق يمينه شماله) [١].

٢- **التعقل والعزيمة والنية الصادقة**: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ۞ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٢].

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام في آداب السفر انه قال: (ان كنتَ عاقلا فقدم العزيمة الصحيحة والنية الصادقة في حين قصدك الى أي مكان أردت .. وكُن متفكرا في مشيك، ومعتبرا لعجائب صنع الله عزل وجل اينما بلغت، ولا تكن مستهترا ولا تتبختر في مشيك، وغض بصرك عما لا يليق بالدين، واذكر الله كثيرا، فانه قد جاد في الخير ... واجعل ذهابك ومجيئك في طاعة الله تعالى، والمشي في رضاه، فان حركاتك كلها مكتوبة في صحيفتك) [٣].

٣- **عدم مزاحمة النساء في الطريق**: حيث ورد عن الامام الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: (يا أهل العراق نبئتُ ان نسائكم يدافعن الرجال في الطريق أما تستحون ؟)

---

(١) بحار الأنوار ٧٣/ ٣٠٤.

(٢) سورة النور: الآية ٢٤.

(٣) انظر: بحار الانوار: ٧٣/ ٣٠٥ وما بعدها.

٤- **عدم رفع الصوت اثناء المسير في الطريق**: حيث جاء في الحديث (واياك ورفع الصوت في مسيرك) [١].

٥- **تشييع المسافر**: يستحب تشييع المسافر عند سفره لما ورد عن سُنّة فعلية للرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام حيث شيع الرسول الأكرم ﷺ ابن عمه جعفر الطيار، عندما هاجر الى الحبشة، ودعا له بهذه الكلمات (اللهم الطف به في تيسير كل عسير، فان تيسير العسير عليك يسير، وانك على كل شيء قدير، اسألك اليسر والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة)[٢].

٦- **إخبار المسافر أهله قبل وصوله إذا رجع في الساعات المتأخرة من الليل**: فعن جابر بن عبد الله قال: (نهى رسول الله ﷺ ان يطرق الرجل اهله ليلا إذا جاء من الغيبة حتى يؤذنهم بقدومه بغتة)[٣].

٧- **استقبال المسافر**: يستحب لأهل المسافر ومعارفه أن يستقبلوه عند رجوعه من سفره، حيث جاء في السُنّة بأن الرسول الأكرم ﷺ استقبل ابن عمه جعفر بن ابي طالب الطيار (رضي الله تعالى عنهما) لما جاء من الحبشة[٤].

ويُذكر ايضا أن الرسول الأكرم ﷺ عندما كان يستقبل الحاج من سفره يقول له (تقبل الله تعالى منك، وأخلف عليك نفقتك، وغفر ذنبك) [٥].

---

(١) الكافي ٥/ ٥٣٦.
(٢) مكارم الأخلاق ٢٤٦.
(٣) المصدر نفسه ص٢٦٦.
(٤) انظر: الخصال ص٤٨٤.
(٥) مكارم الأخلاق ص٢٦١.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام بأنه كان يقول للقادم من الحج: (.. ولا يجعله آخر عهدك ببيته الحرام) [١].

ومن خلال عرض روايـات أهل البيت عليهم السلام التي تقدم ذكرها يظهر لنا انهم عليهم السلام كانوا يمثلون صورة صادقة وحقيقية في تطبيقها على أحسن وجه، وليس بدافع الرياء وارضاء الناس، وانما بدافع مرضاة الله تعالى وحده، لذلك كانوا عندما يفون بعدهم مع من عاهدهم ليس بدافع الخوف أو التملق، وانما بدافع الامتثال لأمره سبحانه، كما انهم عليهم السلام ضربوا اروع القيم في خصوص التعامل مع الظالمين والجهلاء، لما منحهم ايمانهم الراسخ من صبر وضبط النفس وعدم الخروج عن المنهج الأخلاقي الذي أقره الإسلام في القرآن الكريم والسُنّة المطهرة، فكان صبرهم لا حدود له، ولكنهم كانوا لا يصبرون على هتك الحُرمات والجهر بالكفر والعصيان، وكانوا مثالا للتواضع، ولكن من دون ذل او خنوع، وكانوا كثيرو الرفق بالفقراء والمساكين والضعفاء، ولكن من دون رياء أو ظهور، وهم من أكثر الناس حياء، ولكن من دون خجل أو ارتباك، فسلام الله عليهم يوم ولدوا ويوم فارقوا الحياة ويوم يبعثون احياء عندهم ربهم يرزقون.

ومن خلال ما تتقدم يتضح لنا مدى أهمية الإسلام في احياء مثل هذه المظاهر الاخلاقية والادبية نحو تحقيق الالفة والمحبة والتكافل، لأن السفر يعد أهم وسيلة تكشف حقيقة المسافر من حيث صبره ودينه وطبيعة علاقته مع الآخرين .

هذا ما تمكنا انجازه بهذا الكتاب من الأخلاق والآداب الإسلامية بهدف التذكير بها والوقوف على فلسفتها ومقاصدها، بغية تطبيقها على ارض الواقع، لأنها هي

(١) سفينة البحار ١/ ٢١٧ . وسائل الشيعة ٨/ ٢٢٨.

السكة التي تأخذ بنا الى ما فيه خير الدنيا والآخرة، سائلا المولى القدير أن ييسر علينا وعليكم التمسك بها والامتثال لمشرعها سبحانه، وان يغفر عنا جميعا عما وقعنا فيه من خطأ في حياتنا، يا رب يا غفار يا رحمن يا رحيم لا تحملنا ما لا طاقة لنا به.

والله تعالى وحده من وراء القصد.

انتهى الكتاب بعون الله تعالى

الخاتمة

من خلال ما قدمناه في هذا الكتاب ظهر لنا الآتي:

١- ان كلمة الأخلاق كلمة شاملة تعني الأخلاق الطيبة والأخلاق الرديئة، فهي اشبه بكلمة الدين الذي يعني الدين الحق وغيره.

٢- تعد التربية الأخلاقية من اصعب أصناف التربية، لأن الناس لا يتقبلوا الأخلاق الكريمة إلا بعد اقتناعهم بسوء الأخلاق السيئة، لذلك جاء الخطاب القرآني على شقين، الأول: النهي والزجر عن ارتكاب الأخلاق السيئة، والثاني: يأمرهم التمسك بمكارم الأخلاق.

٣- من قواعد التربية النفسية بخصوص موضوع الأخلاق ينبغي التدرج والترويض في الدعوة للإقلاع عن ممارسة الأخلاق السيئة، ومن ثم ممارسة الأخلاق الكريمة الطيبة، وكل فئة عمرية تحتاج الى اسلوب خاص للدعوة والتربية.

٤- اختص الإسلام عن غيره بخصوص موضوع التربية الأخلاقية إنه أمر بالإقلاع عن الأخلاق السيئة والتحلي بالأخلاق الكريمة امتثالا لطاعة الله تعالى وبدون رياء او تملق، بينما ربت الدول الغربية شعوبها على اساس التمسك بالكثير من الأخلاق الفاضلة على اساس طاعة القانون والعقاب والثواب.

٥- محصلة ما توصلنا اليه في هذا البحث هو الآتي:

لا يمكن تطبيق الأخلاق الفاضلة في مجتمعنا إلا بعد سد الذرائع التي أمر الله

تعالى بسدها، كتوفير السكن والمأكل والعمل واشباع الغرائز بصورتها المشروعة، وبعد ذلك ندعو الناس لترك الأخلاق السيئة والتمسك بالأخلاق الفاضلة، وان ندعوهم بما جاء في كتاب الله تعالى وسُنّة رسوله الأكرم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وعلى الرغم من كل ذلك فلا تطبق الناس أي دعوة صلاح إلا تحث طائلة القانون بثوابه وعقابه، والله تعالى أعلم.

ملخص الكتاب

تناول هذا الكتاب معظم مفردات الأخلاق الإسلامية التي تتعلق بأخلاق العبادات الواجبة والمستحبة، وعلاقة النية بالأخلاق والعقيدة الإسلامية، وبيّنا الأخلاق المتقابلة التي تظهر نتيجة مقابلة الفعل الأخلاقي مقابل الآخر، كالتعاون والمحبة بين الأفراد، ثم شرعنا في بيان أهم مكارم الأخلاق، كالصدق والوفاء بالعهد وغيرهما.

Book Summary

Eat this book most of the vocabulary of Islamic education concerning the morality of worship due and Almsthih and the relationship of faith to morality and the Islamic faith،and Pena morality opposite that appear as a result of an act of moral versus the other،such as cooperation and love between individuals،then we set out in the statement of . the most timportant morals،honesty،honoring and others

أهم المصادر

القرآن الكريم

١- **احياء علوم الدين**: محمد بن محمد الغزالي تـــ (٥٥٠هـ) دار المعرفة بيروت، يطلب من المكتبة الالكترونية.

٢- **اخلاق أهل البيت** عليهم السلام: السيد محمد مهدي الصدر، يطلب من موقع الضياء للدراسات المعاصرة www.ALDHIAA.COM

٣- **الأخلاق الإسلامية واساسها**: عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (د ـ ت).

٤- **الأخلاق (كتاب الخلاق)**: أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٩م.

٥- **الأخلاق في الإسلام**: الدكتور يوسف موسى، الطبعة الثانية، مطبعة الرسالة، القاهرة ١٩٤٥م.

٦- **الأخلاق في القرآن الكريم**: الشيخ مكارم الشيرازي وجماعة من العلماء، يطلب من موقع شيعة أهل البيت الالكتروني.

٧- **الآداب الشرعية في شرح منظومة الآداب**: ابن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الارناؤوط، الطبعة الثالثة، مطبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٩م.

٨- **الاستبصار فيما اختلف من الأخبار**: محمد بن الحسن الطوسي تـــ (٤٦٠هـ) الطبعة الرابعة، مطبعة خورشيد، طهران ١٤٠٥هـ.

٩- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار: يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي تـ (٤٦٣هـ) تحقيق: عبد المعطي امين قلمجي، الطبعة الأولى، نشر دار قتيبة، دار الوعي ١٩٩٣م.

١٠- اصلاح المجتمع: محمد بن سالم بن الحسين البيحاني، دار الكتب العلمية، بيروت (د ـ ت) .

١١- اصول الدعوة: الدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع٢٠٠٥م.

١٢- الأمالي: الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) الطبعة الأولى، تحقيق وطباعة قسم الدراسات الإسلامية، مدينة قم ١٤١٧هـ.

١٣- بحار الأنوار: الشيخ محمد باقر المجلسي تـ (١١١١هـ) الطبعة الثالثة، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣م.

١٤- بحوث قرآنية في التوحيد والشرك: الشيخ جعفر السبحاني، منشورات موقع الابحاث العقائدية الالكتروني.

١٥- برقية محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحميدة: محمد بن محمد بن مصطفى الخادمي تـ(١١٥٦هـ) مطبعة الحلبي واولاده، القاهرة ١٣٤٨هـ .

١٦- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن مرتضى الزبيدي تـ (١٢٠٥هـ) تحقيق: علي سيري، دار الحديد، بيروت (د ت).

١٧- **تاج اللغة وصحاح العربية**: اسماعيل بن حماد الجوهري تـ (٣٩٣هـ) الطبعة الثانية، دار القلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م.

١٨- **تاريخ الفلسفة اليونانية**: يوسف كرم، الطبعة السادسة، مطابع الرجوي عابدين، القاهرة (د ت).

١٩- **تاريخ مدينة دمشق**: عمر بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٣٩م.

٢٠- **التبيان في تفسير غريب القرآن**: أحمد بن محمد عماد الدين المعروف بابن الهائم (ت٨١٥هـ) تحقيق: الدكتور ضاحي عبد الباقي محمد، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٢٣هـ.

٢١- **التبرج**: عكاشة عبد المنان الطيبي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والاصدار، القاهرة (د ت).

٢٢- **التبيان في تفسير القرآن**: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تقديم آغا بزرك الطهراني، تحقيق وتصحيح: أحمد قصير العاملي، بيروت، يطلب من مكتبة الصدوق الالكترونية المصورة.

٢٣- **تجديد الفكر الإسلامي**: الدكتور محسن عبد الحميد، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٥م.

٢٤- **التحرير والتنوير**: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، النسخة الالكترونية www.archive.org

٢٥- **تحريم الاختلاط والرد على من اباحه**: الدكتور عبد العزيز بن احمد البداح، تقديم: الدكتور صالح الفوزان، الطبعة الثالثة، الرياض ٢٠١١م.

٢٦- **تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي**: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري تـ (١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، القاهرة (د ـ ت).

٢٧- **تذكرة الفقهاء**: الحسن بن يوسف المطهر الحلي تـ (٧٢٦هـ) منشورات المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار، قم (د ـ ت).

٢٨- **التعريفات**: علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: ابراهيم الانصاري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ.

٢٩- **تلخيص الحبير في تخريج احاديث الرافعي الكبير**: أحمد بن علي محمد الكناني، الطبعة الأولى، مؤسسة قرطبة، تونس ١٩٩٥م.

٣٠- **تفسير المنسوب للإمام الحسن (عليه الإسلام) المعروف بتفسير الإمام الحسن**: مطبعة مهر، مدينة قم ١٤٠٩هـ، وراجع نسخة اخرى في موقع الإمام المهدي عليه السلام ستجد نسخة الالكترونية من الكتاب.

٣١- **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) المعروف بتفسير الرازي**: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن علي التيمي الرازي تـــ (٦٠٦هـ) الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت ١٩٨٥م.

٣٢- **التفكر فريضة اسلامية**: عباس محمود العقاد، الموقع الالكتروني لمكتبة الاسكندرية بمصر.

٣٣- **التكامل الاجتماعي في مدرسة اهل البيت** عليهم السلام: عباس ذهيبات، سلسلة المعارف الإسلامية، مطبعة تارة، قم (د ت).

٣٤- **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر**: ورّام بن أبي فارس تـ (٦٠٥هـ) مكتبة الفقيه، قم (د ت)

٣٥- **التوقيف على مهمات التعاريف**: محمد عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين المناوي تـ (١٠٣١هـ) نشر عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة ١٩٩٠م.

٣٦- **تهذيب الاحكام**: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي تـ (٤٦٠هـ) تحقيق وتعليق: السيد حسن الخرسان، الطبعة الثالثة، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٩٨٥م.

٣٧- **تهذيب الأخلاق**: عمرو بن بحر بن محبوب المعروف بالجاحظ، يطلب من المكتبة العربية الالكترونية www.arablib.com

٣٨- **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**: أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب بمسكويه تـ (٤٢١هـ) تحقيق: ابن الخطيب، نشر مكتبة الثقافة الدينية، الموقع الالكتروني (مكتبة المدينة الالكترونية www.madinahnet.com)

٣٩- **تهذيب اللغة**: محمد بن أحمد بن الأزهري تـ (٣٧٠هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م.

٤٠- **الجامع لأحكام القرآن**: محمد بن أحمد القرطبي تـ (٦٧١هـ) الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤هـ.

٤١- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ (تفسير الطبري)**: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ). دار الفكر للطباعة والنشر: بيروت، ١٩٩٥م .

٤٢- **جامع السعادات**: الشيخ محمد مهدي التراقي تـ (١٢٠٩هـ) مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٨٨م.

٤٣- **الجامع في التربية العامة**: رونية اوبير، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٧م.

٤٤- **جواهر الكلام في شرائع الإسلام**: محمد بن حسن النجفي تـ (١٢٦٦هـ) الطبعة السابعة، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨١م.

٤٥- **الخصال**: محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، تعليق: على أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم (د ت) .

٤٦- **دراسات في الأخلاق وشؤون الحكمة العملية**: الشيخ حسين المظاهري، الطبعة الأولى، مكتب الاعلام في حوزة قم فرع اصفهان، مؤسسة الزهراء الثقافية، مطبعة القلم ١٤٣٢هـ .

٤٧- **الذريعة الى مكارم الشريعة**: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني تـ (٥٠٢هـ) تحقيق: ابو زيد العجمي، مطبعة دار السلام، القاهرة ٢٠٠٧م.

٤٨- **الذنوب الكبيرة**: السيد عبد الحسين دستغيب، الدار الإسلامية، بيروت ١٩٨٨م.

٤٩- **رحلة الفكر الإسلامي من التأثر الى التأزم**: الدكتور السيد محمد الشاهد، دار المنتخب العربي، القاهرة ١٩٦٤م.

٥٠- **رسالة في الرياء**:، سليم الهلالي، طبعة سنة ١٤٠٨هـ.

٥١- **روح التربية والتعليم**: محمد عطية البراغي، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٨م.

٥٢- **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**: محمد بن حيان البستي تـ (٣٠٧هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن (د ت).

٥٣- **سنن البيهقي الكبرى**: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي تـ (٤٥٨هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة المكرمة ١٤١٤م.

٥٤- **سيرة الأئمة الاثنا عشر** عليهم السلام: هاشم معروف الحسني، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، قم (د.ت)

٥٥- **السيرة النبوية**: عبد الملك بن ايوب الحميري المعروف بابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة ١٩٥٥م.

٥٦- **شرح اصول الكافي**: محمد صالح المازندراني تـ (٢٠٨٢هـ) الطبعة الأولى، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٤٢١هـ.

٥٧- **شرح رسالة الحقوق**: السيد حسن علي القبانجي، طبعة قم ١٤٢٧هـ.

٥٨- **شفاء الانام في زيارة خير الأنام**: تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي، طبعة حيدر آباد، الهند ١٨٩٨م.

٥٩- **صحيح البخاري**: محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري تـ (٢٥٦هـ) طبعة اوفسيت عن طبعة دار الطباعة العامرة، استنبول ١٤٠١هـ.

٦٠- **صحيح مسلم بشرح النووي**: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تـ (٢٦١هـ) الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ.

٦١- **الصحيفة السجادية الجامعة لأدعية الامام السجاد**عليه السلام: باشراف السيد محمد باقر السيد المرتضى الموحد الابطحي الاصفهاني، تحقيق ونشر: مؤسسة الامام المهدي عليه السلام الطبعة الأولى، مطبعة قم ١٤١١هـ.

٦٢- **علم الأخلاق**: باروخ سبينوزا (عالم هولندي) ترجمة: جلال الدين سعيد، ساعد على طبع الكتاب مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية (د ت).

٦٣- **عودة الحجاب**: محمد بن احمد اسماعيل المقرم، دار طيبة للنشر والتوزيع، المدينة المنورة ٢٠٠٦م.

٦٤- **العين**: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت (د ت)

٦٥- **عيون الحكم والمواعظ**: علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، طبع ونشر دار الحديث، قم ١٣٧٦هـ.

٦٦- **غرر الحكم ودرر الكلم**: عبد الواحد الآمدي التميمي تـ (٥٥٠هـ) مكتب الاعلام الرسمي، قم (د ت).

٦٧- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت (د ت)

٦٨- **فتح القدير**: محمد بن علي بن محمد الشوكاني الزيدي تـ (١٢٥٠هـ) دار ابن كثير، بيروت ١٤١٤هـ.

٦٩- **الفصول المهمة في معرفة احوال الأئمة** عليهم السلام: علي بن محمد بن أحمد المالكي المعروف بابن الصباغ، طبع ونشر دار الاضواء، بيروت (د ت).

٧٠- **فقه الأخلاق**: السيد محمد صادق الصدر، يطلب من الموقع الالكتروني لمؤسسة الصدرين للدراسات الاستراتيجية الالكترونية.

٧١- **الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي**: الدكتور مصطفى حلمي، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، مكة المكرمة ١٩٩٨م.

٧٢- **فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها**:الدكتور توفيق الطويل، دار النهضة العربية ١٩٧٦م.

٧٣- **الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي**: الدكتور أحمد محمود صبحي، مطبعة دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩م.

٧٤- **الفلسفة الأدبية أو علم الأخلاق**: حنا أسعد وهبي، الطبعة الأولى، مطبعة المؤيد، بيروت (د ت).

٧٥- **فلسفة أوجست كونت**: ليبفي بريل، ترجمة: الدكتور محمد قاسم، الطبعة الثانية، المطبعة الانجلو المصرية، القاهرة (د ت)

٧٦- **فلسفة التربية**: فيليب فينكس، ترجمة: محمد لبيب، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٥م.

٧٧- **القاموس المحيط**: مجيد الدين محمد بن محمد بن يعقوب بن محمد الفيروز آبادي تـ (٨١٧هـ) دار الفكر، بيروت ١٢٠٦هـ.

٧٨- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التآويل**: جار الله محمود بن عمر الزمخشري تـ (٥٢٨هـ) نشر البلاغة، قم ١٤١٥هـ.

٧٩- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**: أيوب بن موسى تـ (١٠٩٤هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٨م.

٨٠- **كنز العمال**: علاء الدين علي بن حسام الدين بن قاضي خان القادري المعروف بالمتقي الهندي تـ (٨٨٥هـ) تحقيق: بكري حياني، الطبعة الخامسة، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.

٨١- **لباب التآويل في معاني التنزيل**: علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم المعروف بالخازن تـ (٧٤١هـ) تصحيح: محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ.

٨٢- **لسان العرب**: محمد بن مكرم المعروف بابن منظور تـ (٧١١هـ) الطبعة الأولى، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ.

٨٣- **مبادئ الأخلاق**: الدكتور ماهر كامل، مطبعة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٢م.

٨٤- **مجمع البيان**: الفضل بن الحسن الطبرسي تـ (٥٤٨هـ) الطبعة الأولى، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤١٥هـ.

٨٥- **المحجة البيضاء**: المولى محسن فيض الكاشاني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الرابعة، مكتبة النشر الإسلامي، قم ١٤١٧هـ.

٨٦- **مختصر منهاج القاصدين**: نجم الدين أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي تـ (٦٨٩هـ) مكتبة دار البيان، دمشق ١٩٧٨م.

٨٧- **مدخل الى علم الأخلاق**: ولتر لمبان، ترجمة: أنعام المفتي، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٦٧م.

٨٨- **مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق**: الدكتور توفيق الطويل، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٣م.

٨٩- **مساوئ الأخلاق وآثارها على الامة**: الدكتور خالد بن حامد الحازمي، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد، الرياض ١٤٢٥هـ.

٩٠- **مستدرك الوسائل**: حسين النوري الطبرسي، طبعة ايران، يطلب من الموقع الالكتروني (مكتبة المصطفى الالكترونية).

٩١- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ) المكتبة العلمية، بيروت (د ت)

٩٢- **المعجم الكبير**: سليمان بن أحمد بن ايوب الطبراني تـ (٣٦٠هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، الطبعة الأولى، دار الصميعي، الرياض ١٩٩٤م.

٩٣- **معجم المقاييس في اللغة**: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي تـ (٣٩٥هـ) دار الفكر، بيروت ١٩٩٤

٩٤- **مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة**: السيد محمد جواد الحسيني العاملي تـ (٢٢٦هـ) الطبعة الأولى، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٩هـ .

٩٥- **المفردات في غريب القرآن**: الحسين بن محمد الاصفهاني تـ (٥٠٢هـ) الطبعة الثانية، بيروت ١٤٠٤ .

٦٩- **مكارم الأخلاق**: الشيخ رضي الدين الطوسي تـ (٥٤٨هـ) مطبعة النعمان، النجف الأشرف (د ت).

٩٧- **من لا يحضره الفقيه**: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالصدوق تـ (٣٨١هـ) الطبعة الثالثة، مؤسسة النشر الاسلامي، قم ١٤٠٤هـ .

٩٨- **موارد الظمآن لدروس الزمان**: عبد العزيز السلمان، يطلب من المكتبة الالكترونية ٥٢٤٦٢http:lslamHouse.com.

٩٩- **موسوعة الأخلاق**: خالد بن جمعة الخراز، مكتبة أهل الأثر، يطلب من المكتبة الالكترونية الشاملةwww.waqfeya.com .

١٠٠- **الموسوعة الفقهية في فقه الكتاب الكريم والسنة المطهرة**: حسين بن عودة العوايشة، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت (د ت).

١٠١- **ميزان الاعتدال**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تـ (٧٤٨هـ) الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت ١٩٩٩م.

١٠٢- **ميزان الحكمة**: محمد المحمدي الريشهري، المكتب الاعلامي في الحوزة العلمية، قم ١٣٦٢هـ.

١٠٣- **النظام التربوي في الإسلام**: باقر شريف القرشي، مطبعة اوفسيت نديم، بغداد ١٩٧٨ .

١٠٤- **نهج البلاغة**: خطب الامام علي بن أبي طالب عليه السلام تـ (٤٠هـ) شرح محمد عبده، الطبعة الاولى، مطبعة النهضة، قم ١٤١٢هـ.

١٠٥- **نيل الأوطار شرح ملتقى الأخبار**: محمد علي الشوكاني الزيدي تـ (١٢٥٠هـ) المدينة المنورة ١٩٩٣م.

١٠٦- **وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة**: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي تـ (١١٠٤هـ) تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث والكتاب منشور في مكتبة الصدوق الالكترونية المصورة.

١٠٧- **يتيمة الدهر في محاسن العصر**: عبد الملك الثعالبي النياسبوري، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م.

المحتويات

المقدمة ٥

التمهيد ٧

الفصل الأول: أخلاق العبادات الواجبة والمستحبة..... ١٧

المبحث الأول : تعريف النية وعلاقتها بالأخلاق..... ١٩

المطلب الأول : تعريف النية ومفهومها ١٩

المطلب الثاني : الترابط بين النية والاخلاق ٢٣

المبحث الثاني : علاقة الاخلاق بالعبادات الواجبة..... ٢٧

المطلب الأول : العقيدة الإسلامية والتفكير ٢٧

المطلب الثاني : الصلاة ٣٩

المطلب الثالث : الصوم..... ٤٩

المطلب الرابع : الحج ٥٣

المبحث الثالث : علاقة الأخلاق بالعبادات المستحبة ٥٧

المطلب الأول : قراءة القرآن الكريم ٥٧

المطلب الثاني : العمرة ٦١
المطلب الثالث : زيارة قبور الأولياء والصالحين ٦٣
المطلب الرابع : المستحبات الأخرى ٦٧
الفصل الثاني : الاخلاق المتقابلة بين الأفراد والجماعات ٨٣
المبحث الأول : المحبة المتقابلة بين الأفراد والجماعات..... ٨٥
المطلب الأول : تعريف المحبة وماهيتها ٨٧
المطلب الثاني : أهمية المحبة اعتقاديا واجتماعيا ٩١
المبحث الثاني : التعاون المشترك..... ٩٥
المطلب الأول : تعريف التعاون وماهيته ٩٥
المطلب الثاني : التعاون في القرآن والسُنّة ٩٩
المبحث الثالث : الاختلاط مع الناس والتواضع وحُسن الخلق والحلم ١٠٥
المطلب الأول : الاختلاط مع الناس ١٠٥
المطلب الثاني : التواضع ١١٣
المطلب الثالث : حُسن الخُلق والحُلم..... ١١٧
الفصل الثالث : نماذج من مكارم الأخلاق..... ١٢١
المبحث الأول : الوفاء بالعهد ١٢٣

المطلب الأول : تعريف الوفاء بالعهد وموقعها في القرآن والسُنّة ١٢٣
المطلب الثاني : أهمية الوفاء بالعهد من الناحية الاجتماعية ١٢٩
المبحث الثاني: الـــصـــدق..... ١٣١
المـــطـــلـــب الأول : تعريف الصدق..... ١٣١
المطلب الثاني : دور الصدق في حياتنا الاجتماعية ١٣٣
المطلب الثالث : علاقة الصدق بالاقتصاد والثقافة ١٣٩
المطلب الرابع : أنواع الصدق..... ١٤١
المبحث الثالث : التوبة والصبر والمراقبة..... ١٤٧
المطلب الأول : التـــوبة ١٤٧
المطلب الثاني : الصـــبر ١٥٣
المطلب الثالث : المراقبـة..... ١٥٧
المبحث الرابع : التواضع والرفق وخفض الجناح والعفو ١٦٣
المطلب الأول : التواضع والرفق وخفض الجناح ١٦٣
المطلب الثاني : العفو ١٧٣
المبحث الخامس : الحياء والوقار ١٨١
المطلب الأول : الحياء ١٨١

المطلب الثاني : الوقار..... ١٨٧
المبحث السادس : آداب السفر واقسامه وعلاقته مع بعض الجوانب الأخلاقية١٩١
المطلب الأول : آداب السفر ١٩١
المطلب الثاني : أقسام السفر من الناحية الشرعية وآدابه ١٩٥
الخاتمة..... ٢٠١
ملخص الكتاب..... ٢٠٣
Book Summary ٢٠٤
أهم المصادر..... ٢٠٥